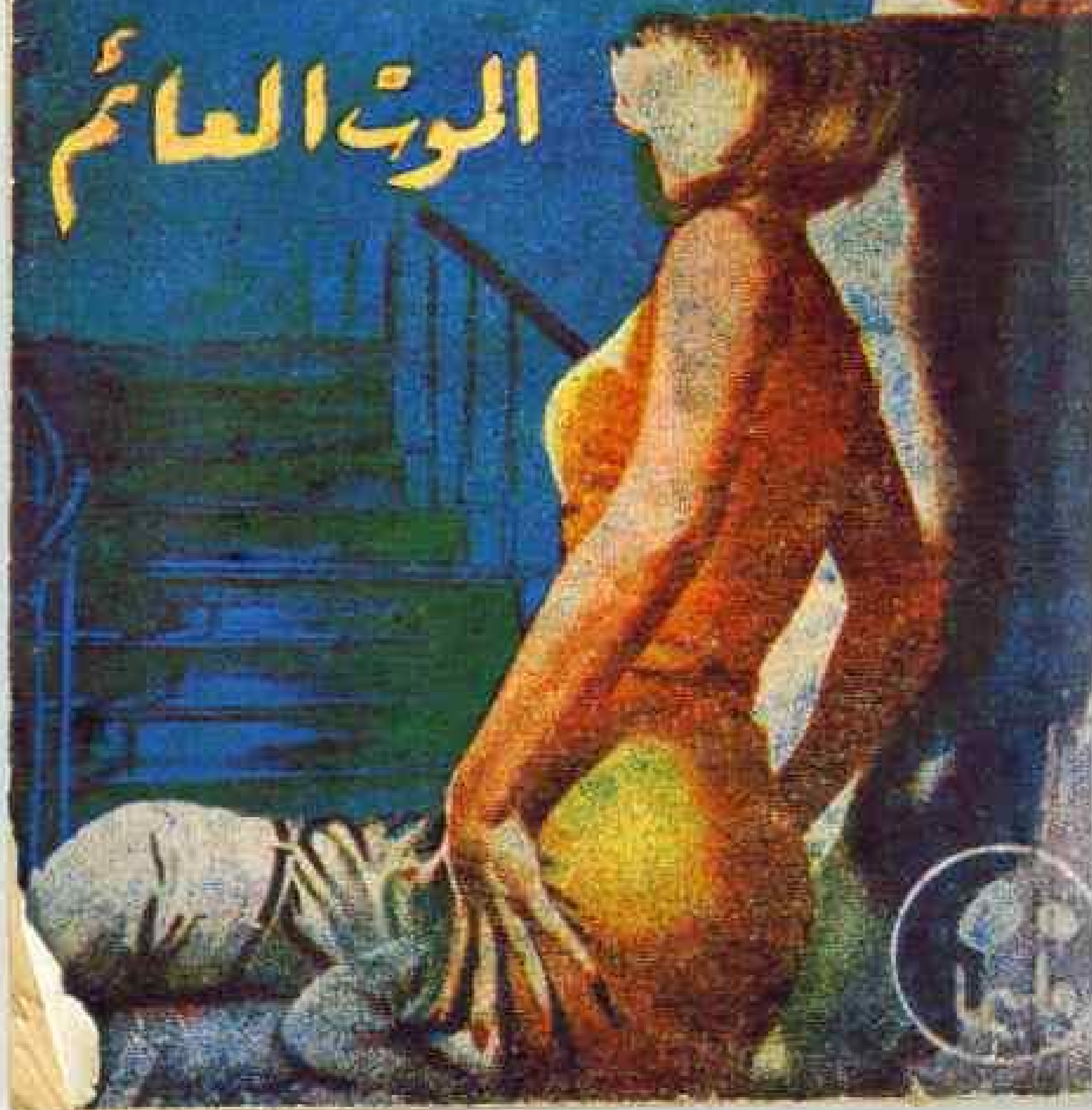
مغامرات
أرسين لوبين



- ١ -

منذ اخلد ارسين لوبين الى الراحة والسكينة في احدى ضواحي نيويورك ، حيث اتخذ لنفسه دارا أنيقة أودعها افخم الرياش والدر التحف ، منذ ذلك اليوم انقطعت صلته انقطاعا يكاد يكون تاما بعالم الجريمة .

فلم يعد ارسين لوبين عدو الاغنياء ونصير الفقــراء الذى يأخذ من المقترين الكانزين ليعطي المحتــاجين والمعوزين . ولم يعد نصير العدالة الذى يطارد جبابرة المجرمين وكبار الاشقياء الذين أعجزوا القانون واقعدوا رجاله ، ولم يعد ذلك البوليس السرى الهاوى الذى يعمل لحساب نفسه فيكشف من غوامض الجرائم والحوادث ما غاب عن انظار رجال البوليس السرى والعلني ، ويصل بمهارته في الاستقراء والاستنتاج الى نتائج لا يتسع لها افق تفكيرهم الضيق ، لم يعد ارسين لوبين شيئا من هذا ، بل كان كل ما يعرف عنه في بيئتــه الجديدة انه يدعى ، انتوني ترانت ، وانه اوتي في ايامه الاولى سعة من الرزق تمكنه في حاضره من ان يعيش حيث يقيم في تلــك الضاحيه عيشة الترف والثراء .

ولكن رجلا كارسين لوبين – او انتــوني ترانت – امضى حياته باكملها بين الجريمة والمجرمين لا يمكن ان يستقر له قرار في السكينة والسلام . وهو ان هجر الجريمة وفر منها لاحقته وادركته . وان تقاعس عنها لحظة سعت اليه من تلقاء نفسها كانما هو والجريمة قطبا مغناطيس بينهما تجــاذب وشوق ؛ يشد احدهما الآخر اليه في شدة وعنف ما ان وقع في مجاله ووجد الى ذلك سبيلا .

وكانت هواية ارسين لوبين هي مصدر الشر في هذه المرة . فقد خرج ارسين .. عفوا .. مستر انتــوني ترانت كعادته

ذات مرة يرتاد دور الكتب التى تتجر في المخطوطات الاثرية واسفار الادب والتاريخ القديم .. وأم مكتبة اشتهرت بالنادر من كتب الغراميات وما الى ذلك من آداب الناحية الجنسية . وما ان رآه صاحبها حتى رحب به ودعاه الى الدخول قائلا :

– لقد جئت في الوقت المناسب يا سيدى ، لقد صادفني كتاب له قيمته وستسر له كثيرا ، هو نسخة من اطلس «قادن» الجغرافي لامريكا الشمالية . وعــلى الرغم من انني لست متخصصا في هذه الناحية الا ان شهرة هذا الاطلس عالمية .

وكان لوبين يعلم يقينا لا يخالطه الشك صدق صــاحب المكتبة ، فهذا الاطلس يحــوى خمس عشرة خريطة جغرافية ملونة ، رسمها بعض الضباط المعاصرين للثــورة بايديهم . فقال لصاحب المكتبة :

– هل لى ان القى عليه نظرة ؟

– بكل تاكيد ؛ تفضل يا سيدى الى حجرة المعرض الداخلية

وكانت هذه الحجرة من المكتبة بمثابة مخــزن للثمين من الكتب والاسفار ، لا يسمح بدخوله الا لبعض الزبائن الممتازين الذين يعرف عنهم صاحب المكتبة اهتمامهم بالهواية فعــلا ويرجى من ورائهم نفع حقيقي .

وكانت المكتبة في تلك اللحظة خاليـــة من الزبائن الا من رجل متوسط القامة ضئيل الجسم ضخم الرأس ، ذرى الهيئة على نحو ما . تقتحمه العين وتزدريه ، أبصر به انتوني ترانت يسير متدثرا في معطفه الشاحب بين رفوف الكتب واكوامها ، وعندما سار ترانت والكتبي الى حجرة المخطوطات الثمينــة تبعهما اليها في هدوء ؛ ووقف بعيـــدا عنهما يفحص بعض الاسفار الاخرى .

واخذ صاحب المكتبة يعرض الاطلس على ترانت وهــو يقول له :

– ولن يكلفك يا سيدى اكثر من الف دولار ثمنا بخسا لهذه الخرائط الخمسة عشر الاثرية . وزيادة على ذلك .. انظر .. هناك لوحة فنية اضافية توازى نصف مبلغك . صورة ملونة لمدينة نيويورك في ذلك العهد من تصميم الملازم «راتزر» .. انها بدون هذا الاطلس لها قيمتها الفنية وتساوى نصف المبلغ تقريبا .

وقبل انتونى ترانت الصفقة وخرج وصاحب المكتبة الى قاعتها الكبرى حيث حرر له شيكا بالمبلغ . بينما انصرف صاحب المكتبة يعد الاطلس فى ربطة سهلة الحمل .

وغادر ترانت المكتبة يتأبط التحفة الثمينة التى وفق اليها وما ان عاد الى منزله حتى اودعها خزانته الحديدية الخاصة . وظلت التحفة فى مكانها هذا من خزانة ترانت حتى زاره يوما احد العلماء المدققين والثقات المحققين فى الكتب القديمة والاسفار الاثرية ، ورغب ترانت فى أن يعرض عليه تحفته المنتقاة يسأله رأيه فيها . وما ان خرج الاطلس من مكانه واخذ الزائر يقلب صفحاته حتى تبينا أن « لوحة الملازم راتزر » منزوعة من مكانها وغير موجودة . وابدى الزائر اسفه لضياع هذه التحفة الثمينة بينما اخذ انتونى ترانت يضرب كفا على كف لهذه المفاجأة .

ولم يسكت ترانت على هذه السرقة التى لم يكتشفها الا بعد شهور من وقوعها . ولم يهتم بالتحفة المسروقة وثمنها لا يتعدى الألف دولار بأى حال من الاحوال ، بل كان جل اهتمامه للطريقة التى اختفت بها . واسرع من فوره الى صاحب المكتبة التى ابتاع منها الاطلس ، وكان الرجل من حيث الامانة والثقة فوق أى ريب او شك ، فافضى اليه ترانت بجلية الامر ودهش هذا تماما ولكنه بادر بنفى التهمة وبعد المسئولية عن نفسه قائلا : ولكن لا تنس يا سيدى انك قلبت الاطلس هنا بنفسك

فى الحجرة الداخلية وكانت « لوحة راتزر » موجودة به ثم خرجنا سويا حيث حررت الشيك ثم عدنا سويا حيث لففت الاطلس وأعددته لك بنفسى فى شكل ربطة سهلة الحمل ، لقد كنت معك طول الوقت .

فقال له ترانت :

– هذا حقيقى ، واننى لم اوجه اليك اى شك او اتهام يا عزيزى ، بل لجأت اليك لتساعدنى فى استجلاء غوامض الحادث . هل نسيت ذلك الرجل القصير القامة الضخم الراس الزرى الهيئة الذى كان يحوم حولنا فى المكتبة .. لقد تبعنا الى الحجرة الداخلية وبقى هناك عندما خرجنا لتحرير الشيك حتى لقد سألت نفسى لماذا تترك مثل هذه الشخصية المريبة فى الحجرة المخصصة للمعروضات الثمينة ؟

فصاح صاحب المكتبة قائلا : اجل .. اجل .. لقد تذكرت .. انه اوستين لانروست .. لقد كان فى الحجرة فعلا وتركناه بمفرده زهاء الدقيقتين حيث كان الاطلس .. وانهما لكافيتان لنزع اللوحة واخفائها ..

فسأله ترانت قائلا : ومن هو اوستين لانروست هذا ؟

فأجاب صاحب المكتبة : انه من الادباء البائسين الذين اعرض عنهم الدهر وعبست لهم الايام .. يتقن اللغة اللاتينية اتقانا تاما ..

– ولكن ما علاقته بمكتبتك ؟

فأجاب هذا متمهلا كما لو كان يتحفز للافضاء بسر من اسرار مهنته :

– تعلم يا مستر ترانت اننى اتجر فى كتب الغراميات والمواضيع الجنسية والعاطفية القديمة .. ولكى لا تدخل هذه الكتب فى عداد الممنوعات كان يعمد بعض المؤلفين الى تذييل صفحات كتبهم بعبارات لاتينية يستوضحون ويفسرون بها

العجائز اللاتى ينقطعن عن العالم فلا يرين احدا مطلقا الا بعض الخدم ونخبة قليلة من الاصدقاء والاقارب .

واوضح لها لويبن الغـــرض من زيارته كما صارحها بان الهاوى الذى اشترى اللوحة يابى ان يردها باعتبارها مسروقة ومن ثم فهو لا يرى مبررا يدعوه للتغاضى عن ابلاغ الحادث للبوليس ما لم ترغب السيدة فى التداخل لانقاذ ابنها .

ولم كانت دهشته عندما ابصر بالسيدة العجوز تبتســـم ابتسامة عريضة كما لو كانت تنصت لبشرى سعيدة تزف اليها أو مجموعة من الاخبار السارة . ولعل هذه الابتسامة كانت الاولى من نوعها منذ سنوات عديدة ، اذ كان اجهاد عضلات الوجه والفم خلالها واضحا جليا .. واخيرا قالت الام الرؤوم وشبح الابتسامة لم يختف من وجهها الشفوق بعد : يؤسفنى انك قد خدعت بهذا الشكل يا سيدى وسلبت منك لوحتك ، ويؤسفنى فى الوقت نفسه اننى لن ادفع شيئا عـــلى سبيل التعويض او الترضية ، حتى ولا سنتا واحدا .

فقال لها ترانت وقد أخذت منه الدهشة كل ماخذ :

ـ ولكن الا تلاحظين انك ترسلين بابنك ووحيدك الى غياهب السجون ، وليس من أجل هذه السرقة بل لاشياء أخرى قد تناله من ورائها عقوبة اشد ، لقد وفق من كلفتهم بالتحرى عنه الى معرفة انه من مدمنى المخدرات ويحتفظ لديه بكميات ... ويرجحون ان يكون قد اشـــترى بثمن اللوحة كله ثمنها .. مقادير كبيرة من هذه التجارة المحرمة سواء ليتعاطاها او ليتجر فيها .

فقالت على الفور : اذن فسيكون مصيره السجن سواء دفعت لك ثمن اللوحة المسروقة او لم ادفع ؟

ـ كلا .. اذا اتفقنا ، سأوعز الى مكتب التحريات بالكف عنه وسيفعلون ذلك طبعا لاننى اتقدم الاجر ، والكف عنـــه

يشمل الناحيتين ، السرقة والمخدرات ، فتلك مسألة شخصية لا دخل لهم فيها .

فعادت العجوز تقول له : كنت على وشك ان ادفع لك ثمن اللوحة ظنا منى ان فى جريمة المخدرات الكفاية للزج به الى السجن ، اما وان الامر بخلاف ذلك ، فلن ادفع شيئا البتة على الرغم من اسفى الشديد على الخسارة التى لحقتك .

وانتابته الحيرة الشديدة من العجوز الجالسة امامه ، وان كانت ابتسامتها للاخبار السيئة التى سمعتها عن ابنها قد ادهشته بعض الشىء فان اصرارها هذا على ذهاب وحيدها الى السجن قد جعل دهشته مضاعفة ، ولم يتمالك نفســـه ان سألها :

ـ كم يبدو غريبا ان يصادف الانسان اما تحمل لابنها مثل هذا الحقد والموجدة .

فأجابته فى هدوء : لم يكن حقدا وكرها فى بادىء الامر ، بل كان خوفا وفزعا يا سيدى ..

ـ غريب .. ليتنى أفهم ما تعنين ..

ـ أخشى ان يكون ذلك محالا يا مســـتر ترانت ، فلست بالمرأة الحديثة التى تطـــالع كثيرا وتلم بكل شىء ويمكن ان نسميها تلميذة فى علم النفس . كلا . لست على شىء من ذلك بل اننى انتسب للمدرســـة القديمة .. مدرســـة التجارب والحقائق .. ولو اننى سألت نفسى منذ بضع سنوات ، هل يمكن ان اخاف ابنى فلذة كبدى وافزع منه .. لكان الجواب بالنفى القاطع .. ولكن ها قد حدث .. بل اننى عندما بدأت اخافه وارهبه ما كنت اظن ان ينتهى بى ذلك الفزع الى كره وحقد .. هذا ما حدث بالفعل .

ان الاخبار التى زففتها الى اليوم يا مستر ترانت هى اسر بشرى سمعتها خلال السنوات الاخيرة ..

ثم مدت العجوز يدها النحيلة وضغطت على زر الجرس .. فدخل الخادم العملاق قبل ان ترفع يدها عن الزر كأنما كان يقف خلف باب الحجرة مباشرة .

وعلم الزائر ان زيارته قد انتهت .. فغادر الدار وقصد من فوره المكتبة حيث حاول ان يجمع معلومات اكثر عن لاتروست وامه .. ولكنه لم يوفق الى جديد .. واصر صاحب المكتبة على ما قاله من قبل . وهو انه يرجح ان يكون بعقل اوستين لاتروست قليل من الخبل او الجنة .

وانصرف انتوني ترانت الى منزله وهـــو لا يزال حائرا لا يدرى كيف يعلل تلك الظاهرة الغريبة وهى ان سيدة تنتسب لاحدى اسر نيويورك العريقة تفضل بل وتلح فى أن ترى شرف وحيدها ملوثا واسمه ملطخا بعار السرقة .. اى سبب يا ترى يدفعها الى ذلك ؟

وامضى يوميه التاليين وهو لا يجد جوابا لهذا السؤال .. واخيرا ضاق به ذرعا وقصد منزل آل لاتروست مرة أخرى .. وما أن برز اليه الخادم العملاق حتى قال له : اخبر الســيدة لاتروست انني قد جئت من أجل ابنها اوستين .. وستسر كثيرا عندما أفضى اليها بما جئت من أجله .

وعاد الخادم بعد قليل واجابه قائلا :

ـ تقول سيدتى ان ليس لديها ما تزيده على المحادثة الماضية .. فضلا عن انها متوعكة قليلا ولا يمكنها مقابلة احد .

فقال له ترانت على الفور : اذن فاحمل لها هذه الرسالة : « لقد قررت أن لا اقاضى ابنها ، ولن يذهب الى السجن » .

وبدت الدهشة على وجه الخادم كأنما كان للرسالة وقعها الشديد فى نفسه ايضا . وقال لترانت فى تأدب ظاهر لاول مرة منذ عهده به :

ـ عفوا يا سيدى ، يخيل الى ان السيدة ما توقعت مثـــل

هذه الاهمية من المقابلة ، الا تتفضل بالانتظار حتى ارده هذه الرسالة على مسامعها ؟

ولم ينتظر ترانت طويلا فى هذه المرة ، اذ عاد الخادم فى سرعة البرق الخاطف يدعوه للصعود .

اما السيدة لاتروست نفسها فلم تكن باسمة الثغر كمــا تركها فى آخر مرة ، بل كانت بادية الانزعاج والاضطراب . وما أن رآها حتى قال لها :

ـ لقد قر رأيى يا سيدتى على ان اغض الطرف عن هـــذا الموضوع كلية وأدع ابنك وشأنه ، فما من فائدة تعود على من الزج به فى السجون ، أما الخسارة التى كلفنى اياها فأنا من السعة والحمد لله بحيث يمكننى احتمالها ، واخيرا فان مرور الايام قد هدأ من ثائرتى وذهب بحدة الغيظ التى كانت تفيض بها نفسى ، فاقبلى اعتذارى عن هذا الازعاج يا سيدتى العزيزة واعتبرى الحادث منتهيا .

فصاحت العجوز وقد افقدها الغضب وقارها :

ـ ان هذا لا يجدى . كلا كلا .. يجب ان لا تغلب عليك اية عاطفة ، يجب ان يلقى ذلك الاثيم جزاء ما اقترفت يداه من عمل وضيع .

ورأى ترانت ان الفرصة سانحة لتعرف حقيقة تلك المرأة المسنة التى حيرته واذهلته اكثر مما فعل به ابنها ، فقـــال لها :

ـ سأخبرك ما انا فاعل ، اعدك بان ارفع امره للقضاء اذا ما اخبرتنى لماذا تخافينه وترهبينه ، على ان تصدقينى القول . ولا تظنى ان بى جنة أو بلها ، انما هى مهنتى فى هذه الحياة البحث عن المسائل الغامضة والسعى لحلها ، والعمل عـــلى اغاثة الملهوف وتأمين الفــزع الخائف . فلست اريد من وراء هذه المعرفة الا مجرد اشباع حب الاســـتطلاع الذى انتابنى

منذ رأيتك تحرضينني على مقاضاة ابنك وتعملين على ان تحويه جدران السجون ، ولا تنسى انني اشترط عليك ان تصدقيني القول ، وسيكون من السهل على ان اتعرف على مواضع الضعف والتأليف في قصتك ..

– ولكن ما الضمان على ان ما افضى به اليك سيظل في طي الكتمان ؟ ..

– سأعطيك كلمة الشرف بان احتفظ بكل ما اسمعه منك لنفسي ، ولا يمكنني ان اقدم لك اى ضمان آخر . ثم انني لست نكرة تائهة في هذه المدينة ، بل ان لي اصدقاء من علية القوم يمكنك ان تتأكدي منهم مدى اعتمادهم على كلمة الشرف هذه التي اعرضها عليك الان طائعا مختارا ..

– كلا .. لا حاجة لي بذلك يا مستر ترانت ، سأكتفي بوعدك هذا .. ان الدافع الرئيسي لخوفي وفزعي من ابني اوستين هو انه هددني بالقتل ، والسبب الحقيقي لحقدي عليه وكرهي المقيت له ، هو قتله خالته – شقيقتي – كما قتل من قبلها مدرسا انجليزيا كان يشرف على تثقيفه .

وكانت التهمة من الشدة بحيث قابلها ترانت بما تستحقه من اهمال واكتفى بان قال لها في هدوء : ولماذا لم يحاكم لاجل هاتين الجريمتين ويعدم ؟

– لسبب بسيط يا سيدي وهو انه ماهر جدا ، امهر واذكى من اى رجل آخر اعرفه في هذا العالم .. ان لاعب الشطرنج يعتبر ماهرا اذا قدر في حسبانه بضع خطوات او حركات مقدما . اما اوستين فبوسعه ان يقدر مائة خطوة وخطوة تقديرا جيدا ويحسب نتائج كل منها قبل ان يقدم عليها .. هذا هو موضع عبقريته ، وتلك هي الملكة التي يتفرد بها عن الغير ، ولذلك تراه لا يبدأ الا اذا أتم التفكير والتدبير ومتى بدأ لا يفشل .

وكان من الطبيعي أن يتنبه ترانت للحديث ويقبل عليه ، فقال لها معترضا :

– ولكن حادث السرقة التي ارتكبها في المكتبة لا يشعر بذي نبوغ . لقد سرق اللوحة الاثرية في غفلة منا ثم ذهب فباعها لاحد الهواة ، وما قد ضبطت عنده .. الا ترين انه حادث عادي ولا ننتظر من اى لص متوسط الذكاء ان يفعل اقل من ذلك ..

– حقيقة ، ولكنني ارجح وجود عامل آخر كان يكون اوستين في حاجة ماسة الى المال ولذا اقدم على هذه الفعلة متسرعا دون ان يبالى بالعواقب . اما اذا كان في غير حاجة ملحة اليه وبدأ يفكر على مهل وبتؤدة فانه لا يرتكب اى خطأ يمسك عليه .

اما حادثته الاولى فتتلخص في انني ووالده انتقينا له مربيا انجليزيا يدعى مستر هولاند ليثقفه ويشرف على تربيته . وكان الرجل عند حسن ظننا به ، فسرعان ما ظهرت بوادر التقدم على اوستين في مختلف نواحي الثقافة . وكان المربى الانجليزي يجيد الصيد وركوب الخيل ، وكنا نعمل دائما على ان يكون اوستين رياضيا كبقية الفتيان ، فكنا نمضي الصيف في ضيعتنا الواسعة في اديرونداك حيث يتاح لهما الركوب والقنص . وضبط المربى اوستين ذات يوم يعذب كلبا فانتهره بكلمات قاسية . وكعادته دائما اخذ يبكي ويعلن ندمه على ما فعل ويطلب الصفح والعفو . وما ان مرت بضعة ايام حتى ضبطه مربيه متلبسا بالجريمة نفسها . وهنا لم يتردد المربى – بالاتفاق مع والده – في ان ينزل به عقابا بدنيا شديدا ، وكأنما افادته تلك « العلقة » وشفي من دائه العضال .. داء تعذيب الحيوانات .. وعلى حين فجأة وجد مستر هولاند المربى الانجليزي ذات يوم ميتا . فقد كان ينظف بندقيته فانطلقت منها رصاصة .

ولم يخطر ببال احد وقتئذ أن هذا الحادث انما كان ثار اوستين للضرب الذى ناله من مربيه ، وكان اوستين في السادسة عشرة من عمره ، فالحقناه بكلية اعدادية حيث كان يتفوق على جميع اقرانه تفوقا ينم عن ذكاء خارق .. ولكنه لم يفز من الكلية بصديق واحد من بين طلبتها .

وعندما كان في الثالثة والعشرين من عمره عاد لقضاء اجازة الصيف وبدأ يحدث اباه في شأن استغلال بعض الأموال في مشروع ما .. ولكن زوجي بعد أن استمع اليه كثيرا رفض أن يحقق أمنيته لانه كان يرى المشروع فاشلا .. ومات زوجي بعد ذلك باسابيع قليلة في حادث قطار .. وترك ثروته باسرها لي على أن تنتقل لاوستين بعد وفاتي .. ولعل هذا الشرط كان شديد الوقع على اوستين .

واقبلت شقيقتي لتمضي بعض الوقت معنا في هذا المنزل .. وهي مثرية بالمثل .. وكانت تحب اوستين حبا جما .. وكثيرا ما كانت تحادثه بالروسية التى كانت تجيدها .. اما هو فكما علمت استاذ في اللغات .

وبلغ من حبها له أن جعلته وريثها الوحيد وقد كانت بلا عقب .. وقابل اوستين هذا العمل بالامتنان ولكنه أكد لها في نفس الوقت انه في غير حاجة الى مالها وان لديه ما يكفيه .. وبدأ بطبيعة الحال يزيد من أواصر الحب والتعلق بينه وبين خالته « اميلى » كما بدأنا نلاحظ جميعا .. فاخذ يهديها مختلف الكتب والاسفار .. كتب غريبة تتناول مواضيع شاذة .. وكانت اميلى تتأثر عادة بما تطالعه في هذه الكتب ..

واذكر انه اهداها ذات مرة كتابا ضخما في موضوع حرق جثث الموتى .. وما أن طالعته « اميلى » حتى اعلنت انها

تريد أن تحرق جثتها بعد وفاتها .. بل ونصت على ذلك فعلا في وصيتها .. وتظاهر اوستين بمعارضته الفكرة مع انه هو الذى اهداها الكتاب .. ولكنها تشبثت وقالت انها تؤثر اللهب والنيران على الثرى والديدان .. وما عادت تتزحزح عن هذا الرأى ..

وماتت « اميلى » فجأة .. وكانت تنتاب المسكينة ادوار عنيفة تسميها حروقا في القلب .. وكانت وفاتها اثناء انتشار موجة من عدوى الانفلونزا في المدينة انهكت الأطباء وشغلتهم تماما ..

وعندما استدعيت طبيب العائلة واخبرته بما كانت تعانيه اميلى وقع شهادة الوفاة بلا تردد وعندما اقبل موعد الجنازة بدأ اوستين يعارض في تنفيذ الفقرة الواردة فى الوصية عن حرق الجثة باعتبار أن هذا العمل تقليد غير مسيحى ، وطلب الى اثنين من اقربائنا أن يؤيداه فى موقفه .

ولما كانا يحقدان عليه ويتلهفان على معارضة كل ما يقوله ، فانهما أصرا بطبيعة الحال على تنفيذ هذه الوصية بحذافيرها وهكذا حرقت جثة المسكينة اميلى .

ولم تحتمله ثروة خالته اكثر من ثلاث سنوات عاد الى بعدها خاوى الوفاض وطلب العون .. بسخاء ، وما كنت بحكم وصية ابيه لاقدر على تجاوز مبلغ معين يعطى له سنويا . ولذا بدأ النزاع الدائم بيننا على المال .

وذات يوم فيما كان يستعطفني ويطلب المزيد ، وانا اقابل توسله بالرفض والاصرار تطلع الى فجأة بنظرة ادهشتني ثم قال لى وهو يبتسم : « ما من احد اتعبنى وسبب لى غما الا دفع ثمن ذلك غاليا ، الا تفهمين ؟ » .

فأجبته على الفور بأنني لا أعبأ بترهاته ولكنه اخذ يذكرني بما حدث لمستر هولاند مربيه الراحل وانه اقسم

في نفسه على ان يقتله حين كان الآخر يتهال عليه بالضرب .
ثم طلب مني أن أتدبر قصة شقيقتي اميلي واقتبس منها
الموعظة .

وادركت انه كان يتكلم الصدق في تلك اللحظة . فقد
كانت مهارته الشيطانية تبدو على قسمات وجهه الجهنمي
وعلى كل حركة يأتيها بيديه أو عينيه .

فهو الذى اشترى لها كتاب حرق الجثث ، وأخذ
يعارضها من آن لآخر ليسبر غورها وليحملها على التشدد
في موقفها . وهذا ما قصد اليه بالفعل عندما دعا قريب
لمشاطرته رأيه ، فهو يعلم كرههما له وان هذه الكراهية
ستحملهما على معارضته وبذلك تنفذ الوصية وتحرق
الجثة وتضيع معالم الجريمة التى ارتكبت .

وعندما سمعت منه هذه العبارات لم اقو على احتمال
الصدمة فغبت عن الصواب وعندما رددت الى ما حولى كنت
في احد المستشفيات حيث امضيت عدة أسابيع متوالية
حتى استرددت صحتي تماما .

وعاد الى بعد ذلك وقال انه يتعشم ان لا يكون قد بلغ
بي البله ان أفضي بما سمعته منه الى احد آخر ، واخذ
يلتمس الاعذار ويؤكد لي انه ما ذكر هذه المسائل الا ليفزعني
ويهددني ، ولكني اعلم الناس بحالات ابني يا مستر ترانت
واوقن تماما بأنه كان جادا فيما قاله عن مستر «هولاند»
وعن خالته « اميلي » وعندما تبين أن محاولاته لا تجدى
نفعا واني مقتنعة بارتكابه لهاتين الجريمتين صارحني
ثانية بما فعل قائلا انه قد ارتكب « الجريمة التامة »
واستطرد يقول بأنه قد اعد لي تدبيرا لن يترك اي اثر ودال
ينم عن فاعله . وكان هذا آخر عهدى به .

ومنذ غادرت المستشفى وعدت الى هذا المنزل الحقير

يخدمني احد رجال البوليس السرى السابقين وهو الذى
تراه هنا في شكل خادم . اما خادمتي الخاصة فهي ممرضة
مدربة وهي لا تقل امانة وذكاء . وهما يعلمان انه اذا دخل
اوستين الى هذا المنزل فسيفقدان عملهما وسيحرمان من
نصيبهما في الميراث الذى يؤول اليهما فيما لو توفيت وفاة
طبيعية وعلى الرغم من هذه الاحتياطات كلها فانني ما زلت
اخشاه يا مستر ترانت . ويزيد من همي ان خادمي هذا
يتحتم عليه ان يلجأ الى احد المستشفيات قريبا لاجراء عملية
جراحية ضرورية وحتى في حالة نجاحها فانها ستحد من
نشاطه ومقدرته على العمل بعض الوقت . أما الممرضة فهي
بالمثل مخطوبة وعلى وشك الزواج . ولذا تراني في حيرة
شديدة . وعندما سمعت بحادث السرقة ظننت ان هذا
الحادث سيقوده الى السجن ولو لبضعة شهور يكون خادمي
قد اتم عمليته الجراحية خلالها واستعاد عافيته . ونكون
قد وفقنا من جهة اخرى الى العثور على ممرضة امينة
تتوافر فيها جميع الصفات المطلوبة اما بغير ذلك فلا آمن
لدهاء اوستين وخداعه الشيطاني .

انني اصارحك القول يا مستر ترانت .. ما عدت اشعر
نحو أوستين بأقل عاطفة مما تشعر به الام نحو ابنها
عادة .. لقد هددني بالقتل ، ولقد قتل فعلا اثنين من قبل،
شقيقتي المحبوبة ، ومربيه الفاضل الذى كنا نقدره جميعا .
وعلى الرغم من انني لن يطول بي العمر لأكثر من سنتين
او ثلاث الا انني اود ان امضيها في سلام وهدوء واطمئنان .
اما الآن .. فان اقل حركة او صوت في ظلمة الليل يفزعني
ويرسل دقات قلبي في شدة وعنف . والآن وقد اتيت على
كل ما عندى فانني أنتظر منك يا مستر ترانت ان تفعل

اوستين لاتروست التى مرت فيما سبق ، واختتم حديثه قائلا :

ــ .. وما ان سمعت من امه هذه الحقائق حتى رفعت امره الى القضاء ، فقبض عليه ، وحوكم من اجل المخدرات التى عثر عليها في منزله ، وكان مخففا نوعا لانها كانت سابقته الاولى ، واكتفى القاضي بثلاث سنوات يقضيها اوستين في الأشغال الشاقة . وكنت بطبيعة الحال شاهد الاثبات الأول في هذه القضية الامر الذى اثار على حفيظة اوستين وملا قلبه حقدا وموجدة علي ، وما ان نطق القاضي بالحكم حتى التفت اوستين الى واقسم بشرفه ان يلاحقنى ليثار منى وان ينفق كل درهم يناله من ثروة امه العجوز في سبيل القضاء على مستعينا في ذلك بكافة الوسائل سواء المشروعة وغير المشروعة .

وكان ذلك منذ ثلاث سنوات ولم اعبا بتهديده مطلقا بطبيعة الحال بل اصارحك القول لقد نسيت اوستين لاتروست هذا وتهديده ، مع اننى منذ ستة شهور سمعت بخبر وفاته ، بل اذكر ان قد وصلتنى نبذة مقتطعة من احدى الصحف تنعيه ، وقد اثار هذا الخبر ريبتى فتحريت عنه وعلمت انه غادر السجن وقد خفضت المدة بمقدار الربع لاستقامته ، وتابعت التحري فعلمت ان هذا النعى كاذب مزور وانه لم يمت ، ولست ادرى ما المقصود بذلك : اهى اكذوبة دبرها له احد أم انه تعمدها ليوهمنى بانه مات وبذلك اغفل عن الحذر منه ، ويتسع له الوقت لينزل بى ضربته ويثير بقسيه .

بل اسوا ما في الأمر ان امه العجوز توفيت فجاة منذ سنة قبل ان تحرر وصيتها وآلت ثروتها اليه بطبيعة الحال ووجود المال لديه يجعله اقدر على الكيد وانهض للخصومة .

فقال لنفورد : ما كنت اعتقد انه في مثل هذه الخطورة وهو بقامته القصيرة وجسمه النحيل وراسه الضخم ووجهه الصغير الشاحب لا يكاد يحتمل لكمة واحدة منى !

فقال له لوبين : لن تنال فرصة لكمه ، لان هذا النوع من الاشقياء يكتفى بحبك الخطط واحكام التدابير ويترك للغير من ماجورى الاعوان تبعة تنفيذها . والسؤال المهم الآن .. لماذا يسافر اوستين لاتروست على ظهر « الكارتوبيا » متنكرا تحت اسم آخر ، وهل يعلم اننى اشاطره نفس الرحلة ام ان وجوده من باب المصادفة ؟

ــ وما السبيل الى معرفة الجواب ؟

ــ هذا منوط بك يالنفورد ، فعليك ان تتصل به وتحاول معرفة دخائله ، وهذا يقتضى بطبيعة الحال ان لا يكون تعارف بيننا ، وكلما صادف احدنا الآخر في طريقه تجاهله ، على ان نجتمع في حجرتى هذه في الساعة الثامنة من مساء كل يوم لنتبادل الاخبار ونضع خطة الغد ..

ــ وهل تظنه يخرج الى سطح الباخرة بحيث تسنح لى فرصة التعرف به ، ارجح انه سيظل ملتزما حجرته حيث يامر بأن يوافيه الطعام اليها .

فقال لوبين : في هذه الحالة ساوفر عليه عناء الاختفاء ، ساذهب في صباح الغد بعد الافطار الى حجرته مباشرة لزيارته ، ومتى علم باننى عارف بوجوده لم يبق داع لاختفائه بحجرته .. والآن هيا بنا نخرج لنشترك والجماهير في مشاهدة اقلاع الباخرة في لحظاته الاخيرة ..

وكان الجو صحوا في صباح اليوم التالى ، وعلى الرغم من ذلك فقد آثر الكثير من الركاب ان يتناولوا الفطور في حجراتهم . وتعرف لنفورد الى سيدتين من جيرانه على المائدة . وكانت الأولى وتدعى الليدى جلين من سيدات

الطبقة العاليـــة في انجلترا اللاتي عرفن بالمساهمة في كل موضوع خيري وانساني .

وقبل أن يستدرجها أحد الى الحديث بدات تتكلم من تلقاء نفسها وتبدي أسفها لاشتراكها في هذه الرحلـة .. وكان من الطبيعي أن يسألها لنفـورد عن سبب نفورها فاجابت : انه ليؤسفني جدا أن ابحر على نفس السفينة التي يبحر عليها بول زانويسكي الرجـل المسئول عن اكثر من مليون ضحية بشرية ..

– أتعنين بول زانويسكي صاحب مصـانع الاسلحة المشهور ؟

– ومن غيره تاجر الدمار والهلاك وعدو السلام والانسانية .. ما من مؤتمر سلام يعقد الا حاول زانويسكي هذا واعوانه ان يحبطوا مساعيه .. وما من صراع يقوم بين دولتين أو ثورة تشب في ناحية ما الا يكون محـركها الاول بول زانويسكي وزبانيته .. ليتجر مـع الكفتين .. ويبيع السلاح للغالب والمغلوب .. للظالم والمظلوم .. ان لهذا الرجل اعداء كثيرين وأنا احدهم ..

– انك تتدفقين حماسة يا سيدتي الليدي ولو علـم زانويسكي بمقدار نقمتك عليه لما ذاق للنوم طعما او لذة او لما غادر مقصورته .

– انه يعلم تماما انه مكروه من اغلب الناس ويعلم يقينا لا يخالطه الشك ان هنالك من يترصدون له ليثأروا للانسانية منه .. ولذا تراه لا ينتقل الا في حفل من اصدقائه واعوانه .. ومتى نزل جناحا من باخرة أو فندق لم يغادره الا ليرحل الى جهة أخـرى .. وهكذا .. أشاهدت ساعة وصـوله امس ؟

فاجابها لنفورد : اجل .. لقد مر مسرعا بين عصبة من

اصدقائه واعوانه وهم يطبقون عليه من كل جانب .. وامكنني بصعوبة أن ألقى نظرة عليه .. وهو من حيث الشكل اشبه بـ ..

وتوقف لنفورد عن الكلام اذ كان على وشك أن يقـول : « اشبه بصديقي انتوني ترانت » فأكملت له الليدي جلين قائلة :

– انه اشبه شيء بقطاع الطرق . انني يا مستر لنفورد اشترك في اكثر من مؤسسـة للسلام وكلها لا عدو لها الا بول زانويسكي . انه الآن في طريقه الى انجلترا ، ولا يعلم غير الله اي صفقات اثيمة ينوي أن يعقدها في القارة الاوروبية .

اما السيدة الأخرى التي تعرف اليها لنفورد فكانت تدعى مسز مالو وقد استرعت أنظار لنفورد أكثر من غيرها لجمالها ورشاقتها وعذوبة حديثها . ومذ رآها تتخـذ مكانها الى المائدة وطد العزم على أن يتخذ منها صديقة الرحلة .

وفيما كان لنفورد ينسى مهام الاعمال مؤقتا ويمتع النفس من الرحلة بما يحب . كان انتوني ترانت يسير طائعا مختارا الى الحجرة رقم ٧٤ .. الى عرين الأسد .

وما أن اشرف على باب الحجرة حتى ابصر باحد النوبية يغادرها حاملا صينية مغطاة . فادرك أن لانروست قد فرغ من افطاره . وعندما اقترب من الباب ليدخل استوقفه النوبي قائلا :

– ان السيد برادول متوعك قليلا ولا يريد ان يزعجه أحـد .

فاجابه ترانت على الفور : انني كصديق قديم للعـائلة يحتم على ان اكون أول عائد يزوره في مرضه ، واني لواثق من انه سيسر كثيرا لرؤيتي .

ودخل مسرعا وأغلق الباب خلفه .

وكان اوستين لانروست جالسا في مقعد وثير ذي جوانب وعلى ركبتيه كتاب مفتوح يطالعه ويرتدي روبا يابانيا من الحرير الاسود ولم تغير السنوات الثلاث الماضية من شكل لانروست كثيرا . فجسمه لا يزال ضئيلا نحيلا ، ورأسه لا يزال ضخما لا يتناسب وهيكله الا انه في هذه المرة كانت آثار النعمة والراحة بادية عليه . ولكن هل كانت هي الراحة الاجبارية التى فرضت عليه في السجن أم راحة التمتع بثروة امه بعد خروجه من السجن ؟ وسواء كانت هذه او تلك فالنعمة بادية والرخاء ظاهر وآثار النعيم غير خافية .

وظل الرجلان يتطلع احدهما للآخر بضع ثوان ، ثم هب لانروست واقفا وقد انتشرت على وجهه ابتسامة عريضة هادئة ، ومد ذراعيه القصيرتين مرحبا وهو يقول :

ـ انتونى ترانت .. انتونى ترانت .. لو علمت كم انا مسرور لرؤيتك ؟

ولم يؤثر السجن وصحبة الاشرار على قواعد اللياقة التى يجيدها اوستين اجادة تامة ، فاستأنف يقول جادا : اتوسل اليك يا مستر ترانت ان تجلس .. تفضل ..

فقال له ترانت وهو يجلس على المقعد الذى قدمه له عدوه اللدود :

ـ لست أحاول اخفاء دهشتي لهذه المقابلة التي ما كنت اتوقعها مطلقا . ففي آخر مرة افترقنا فيها كانت نفسك تفيض غضبا علي ..

فأجاب لانروست دهشا : احقا .. ؟ لقد نسيت ذلك تماما ؛ انما اذكر انني كنت ممتلئا حقدا على العالم اجمع ، ولكن السجن بدل من كل ذلك يا سيدي ، انها قصة طويلة يا مستر ترانت ، ولكنى اود ان اطمئن اولا ما اذا كنت قد تناولت طعامك أو آمر باحضاره لك هنا ان لم تكن ..

ـ لقد تناولته مبكرا ، فشكرا لك . انني مسرور جدا لهذا التبدل ، لانني ما زلت اذكر كيف انك اخذت تهدد في آخر مرة رأيتك فيها وتقسم بانك بعد خروجك من السجن ستنفق آخر سنت ترثه من والدتك في سبيل القضاء على واهلاكي مستعينا في ذلك بكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة . ولذا تراني اسأل نفسي ما اذا كانت هذه المقابلة السارة تدخل في عداد الوسائل المشروعة التى تعنيها ؟

فاجابه لانروست في هدوء :

ـ لست الومك يا مستر ترانت على هذا التفكير ، فانت لست بالرجل الخامل ، بل لكل لفظ لديك معناه ودلالته . ولو كنت مكانك لما امكنني ان اتناسي مثل هذا التهديد الصريح من رجل محكوم عليه مثلي ، واني لاخشى انني كنت مبالغا في ذلك اليوم ، اجل لقد بالغت في التهديد بل في النزق والهوس . انني عندما نزعت لوحة « راترد » من مكانها في الاطلس كنت في حاجة ماسة الى المال ، وقدرت وقتئذ انك احد الهواة الأثرياء ولن تنتبه للنقص الذى حدث في الأطلس وحتى لو تنبهت له فلن يضيرك شيئا ولكن غاب عني وقتئذ ان ادرك أن انتوني ترانت له هواية اخرى هي مطاردة اللصوص والمجرمين وانه لن يغتفر لى سلبى اياه احدى تحفه.

فسأله ترانت وقد بدا عليه الاهتمام :

ـ ولكن كيف عرفت انى اعنى بمطاردة اللصوص والمجرمين ؟

ـ سمعت بذلك في السجن من بحار يدعى باززويك ، مصارع سابق فقد أذنه اليسرى في احدى مشاجراته .. وهو ضخم الجثة .. عملاق قوى البنية لدرجة رهيبة شرس الطباع خشن الحديث اشبه شيء بغوريلا .. امضي في السجن خمس سنوات لأنه اشترك في حادث تهريب اكتشفته أنت ..

وبازويك هذا ناقم عليك جدا يا مستر ترانت .. وشاء الحظ العاثر أن اشاطره نفس الحجرة في السجن.. فوجدت ان لاهم له صباح مساء الا التوعد بقتلك شر قتلة ما أن تقع انظاره عليك .. وهو ليس من النوع المخاتل الماكر الذى يعد التدبير ويحسن سبكه بمثل ما تفعل يا مستر ترانت او افعل انا .. كلا .. انه محروم من ملكة التفكير والتدبير .. وقد استعاض عنها بقوة بدنية شيطانية مضاعفة .. وهو قد يغادر السجن بعد شهور ولذا نصيحتى الخالصة لك ان تحذر هذا الرجل تماما يا مستر ترانت ولا يمنعك الغرور او الاعتداد بالنفس من أن تاخذ له الاهبة فتحيط نفسك بالأعوان الذين يسرعون لنجدتك اذا ما فكر مثل هذا العملاق في الاعتداء عليك .

– ان بازويك هذا لا يشغلني امره بتاتا .. ولكن الذى يراود فكرى هو تلك المحاولة التى اردت ان توهمني بها انك توفيت حتى لقد بعثت الى بنعى زائف .

فضحك لانروست ملء شدقيه وقال :

– اليست فكرة صبيانية .. اليست كذلك حقا . ! ومع ذلك كم كنت أود ان تحسبني في عداد الأموات وتمحو اسم اوستين لانروست من ذاكرتك .. ان ذكريات الماضي التى تحتفظ لى بها فى صدرك لا تشرف ، ولذلك أردت أن أمحوها باى وسيلة كانت . لان بازويك هذا جعلني ارهبك واخشاك يا مستر ترانت ، لقد أكد لى انك لا تترك خصما حرا طليقا ، وما أن ترسل رجلا الى السجون مرة الا تقتفى اثره كلما خرج لتعيده اليها ثانية وتامن شره ، هكذا افهمني ذلك النوتي الوحش ، ولذا تراني كنت مهتما بان احملك على نسياني .

– ومع ذلك فانك ترحب بى عندما ترانى لاول مرة ولا اثر للرهبة في قلبك ؟ .

– لقد قلت لك انني تبدلت كثيرا يا مستر ترانت ، وما ذلك الا بفضلك ، فانت تعلم انني كنت مدمنا على تعاطي المخدرات ، وحتى في السجن امكنني ان احصل عليها بواسطة حارس خائن يتجر فيها سرا . وذاع امر هذا الحارس واكتشفت خيانته اخيرا ولقى جزاءه ، وبذلك حرمت فجأة من المصدر الذى كنت اعول عليه في الحصول على هذه السموم ، واضطررت اخيرا على الرغم مني أن اقلع عن تعاطيها ، وعندما غادرت السجن كنت قد شفيت منها تماما .. أيمكنك أن تتصور ذلك يا مستر ترانت ؟ المخدرات التى كانت سبب كل بلوى في حياتى ، التى دفعتنى الى سرقتك ، والتى دخلت بسببها السجن ، والتى كانت قبل ذلك كله سبب القطيعة بيني وبين أمى ، تلك المخدرات اللعينة اشفى منها تماما ونهائيا وذلك بفضلك انت ، فلولاك ولولا حزمك لكنت عبدا لها حتى هذه اللحظة . وانني والحمد لله غني بما ورثته من امى انعم وارتع بصحتي الجيدة ومالى الذى يكفيني ، فلماذا احقد عليك بعد ، ولماذا اكرهك وانوى لك الشر ؟ هل من الحكمة أن اعرض عن السعادة التى انا فيها واسعى لشر ترانى انا في غنى عنه ؟ وهل تجد بعد ذلك مبررا للعداء بيني وبينك ؟

– كلا مطلقا ، ان كانت هذه القصة صحيحة في تفاصيلها، الأمر الذى يحتاج الانسان لتصديقه الى بعض الوقت .

فأجاب لانروست : اصبت يا مستر ترانت ، ولو انك قبلت جميع ما قلته لك الآن وصدقته فى غير روية أو حذر لتزعزعت ثقتي بك وتأثرت مكانتك لدى ولتشككت فى مقدرتك التى يتغنى بها اصدقاؤك وأعداؤك .. وانني كرجل احترف

الاوب مدة طويلة اعترف بالنقد ، وافتح له صدرى ، واعلم ان الطمانينة لا تكون الا بعد ازالة جميع الشكوك .. ففى حالتى هذه مثلا ما زال هنالك امر يحتاج لشرح وتبيان واعنى به مسالة والدتى . فلقد كانت المسكينة عرضة لنوبات جنونية !

أجل ! لا تدهش يا مستر ترانت ، انه جنون وراثى ثابت في عائلتها ، جنون من النوع المقبض الذى يسبب لصاحبه ساما في الحياة ويدفعه الى الانتحار ، ولذا تجب الحيطة التامة في مثل هذه الظروف ، ولعلك لاحظت ان جميع نوافذ منزلنا في ميدان ماديسون مركبة عليها قضبان حديدية غليظة ؟

ـ اجل لاحظت ذلك ولكن هذه القضبان كانت لتحول دون دخولك انت ، هكذا قالت والدتك ..

فابتسم لانروست وقال : من الطبيعى أن تقول لك ذلك . وهل رايت ذلك الخادم المصارع المدعو هودكنز والذى كان يتوسد اريكة خلف بابها تماما ؟

ـ ليحافظ عليها اذا ما اقتحمت البيت !

ـ اذا ما اقتحمته أنا ؟ وهل ترانى من القوة بما يقام له وزن ؟ انها تعتقد ذلك ، اى كانت تعتقد أن هودكنز هذا موجود في المنزل ليحفظها ويحميها منى ، ولكنه في الحقيقة وضع بمعرفة طبيب العائلة الخاص والمحامين المشرفين على تركة ابى ليسهر على امى ويحميها من نوبات الجنون التى تعتريها . أما الممرضة التى كانت تعمل كوصيفة لها فهى اشبه شيء بالغوريلا .

وبالاختصار فان المنزل كان كمستشفى المجاذيب ، ولقد امضى فيه ابى اياما منكرة قبل أن يرتحل الى العالم الاخر ، ولقد استحلفنى قبل وفاته ان اتركها في هذا المنزل تعيش

كما عشناه دون أن افكر في نقلها الى مصحة او ما شابه ذلك . ووعدته بذلك ، ولذا ترانى قد تحملت منها الويلات حتى كان يصيبنى منها الجنون .. ولعلها اخبرتك كيف قتلت احد الخدم بان قذفت عليه اناء زهور ضخم من الدور الأعلى ؟

ـ كلا ، ولكنها أخبرتنى عن مربيك المدعو هولاند ، وكذلك خالتك اميلى ؟

فاطرق براسه قليلا ثم قال : هاتان الجريمتان هما احب الجرائم التى صورها خيالها الى نفسها ولعلها قصت على مسامعك كيف كنت اقسو على الحيوانات بجميع انواعها مبتدئة بالحصان ومنتهية بسمك الزينة الاحمر .

ـ كلا ، لم تذكر شيئا عن سمك الزينة الأحمر الا انها اشارت اجمالا الى فرط ميلك الى تعذيب الحيوانات .

ـ لو طال بها العمر ـ رحمها الله ـ لنسبت الى جرائم اكثر مما اجتمع لاشقى مجرم فى سجون العالم ، ولا تنس يا مستر ترانت ان هودكنز والممرضة كانا يزودانها فى نفس الوقت بالافكار الخاطئة المضللة عنى . اذ ان بقاءهما فى هذا العمل المدر للربح العظيم كان متوقفا على بقاء القطيعة بينى وبين أمى وبقائى خارج منزلها .

فقال له ترانت مقاطعا : ولكن الا تخبرنى لماذا تبحر على هذه الباخرة منتحلا اسما آخر ؟ الا تعلم ان تبديل الاسماء واحراز جواز سفر باسم مستعار يعد قانونا من الجرائم .

ـ لا يوجد اى خطأ فى جواز سفرى . لقد ابتعت التذكرة باسمى الحقيقى الا اننى اخبرت مندوب الشركة اننى لا أود أن يزعجنى أحد من الاصدقاء المسافرين ورجوته أن يدون اسما مستعارا فى قسائم المسافرين ففعل .. واصارحك يا مستر ترانت اننى كنت اعلم انك بين المسافرين ؛ فقد رايت

اسمك في القائمة ولذا رغبت في ان أخفي نفسي عنك ، انني ما زلت أشعر بوطأة الماضي .

كلا لا تبال يا لانروست . واذا كنت حقا قد حررت نفسك من رق المخدرات واصبحت رجلا جديدا فانني من جهتي على استعداد تام لتناسي الماضي ولنكن أصدقاء من الان .. فكثيرا ما اخطات التقدير في الماضي وقد أكون الان كذلك او على الاقل ارجو ذلك ..

فسأله لانروست : ماذا تعني يا مستر ترانت ؟

ـ أعني انني أفضل ان تكون الرجل الفاضل الذي زلت قدمه مرة ثم اعتدل عن كبوته ليواصل سيره الشريف ـ على ان تكون المجرم الازدوج الذي ارتكب جريمتين ويستعد للثالثة .

ـ ألف شكر لك يا مستر ترانت ، انك لا تدري اي اثر قد تركته هذه الزيارة في نفسي ، وهل لي أن اسألك عما اذا لم يكن لديك مانع من ان ابادلك التحية اذا قابلتك على سطح الباخرة ؟

ـ كلا مطلقا يا مستر لانروست .. ثق انني قد نسيت الماضي تماما ..

❊ ❊ ❊

وغادر ترانت اوستين لانروست في دهشته يفكر ويقدر ، وانصرف الى حجرة الضابط واردن المشرف على الاعمال الادارية بالسفينة ، وكانت تربطه به صلة صداقة قديمة . وبعد ان امضى معه بعض الوقت خرج الى سطح السفينة . ومر على مقربة من الجناح او مجموعة الحجرات التي ينزل فيها بول زانوبسكي ملك الاسلحة الرهيب ، وابصر بغادة هيفاء تغادر الجناح وهي في ملابس الرياضة . وما ان وقع نظره على شعرها الذهبي وعينيها الزرقاوين ورأى تأودها في سيرها

واختيالها في تثن وتكسر حتى عرف انها مارسيلا موستين الراقصة الشهيرة التي أمنت على ساقيها اخيرا لقاء ثروة طائلة ، والتي يقال انها الصديقة الاولى لبول زانوبسكي وموضع ثقته ومحط آماله ..

وكانت الفتاة على جانب عظيم من الجمال ، قل بين الرجال من يملك ارادة قوية تصرفه عن النظر اليها ، اذا مرت به او على مقربة منه . ولذا رأى ترانت نفسه مسوقا في اثرها يسترق منها النظرات ، حتى بلغا المتماشى العريضة التي تقوم الى جانب الباخرة ، فانحرفت الفتاة يمنة بينما انصرف ترانت الى اليسار .

ووقف مستندا الى حاجز الباخرة يرسل بصره الى الافق الفسيح حيث تختلط السماء بالماء ، ويفكر في الحديث الذي دار بينه وبين اوستين لانروست ، ولم تمض به في مكانه هذا دقائق قليلة حتى شعر بكف ندية تربت على كتفه ، والتفت ليرى معجزة تتحقق .. مارسيلا موستين تقف الى جانبه مبتسمة ..

واعتدل ترانت في وقفته ، وقد أخذته دهشة شديدة وبدأ يسائل نفسه .. ماذا تريد منه تلك الحسناء العالمية ؟ ولماذا اختارته من بين مئات ركاب الدرجة الاولى الذين اكتظت بهم المتماشى في تلك اللحظة من الصباح ؟

وكأنما لحظت مارسيلا دهشته وأرادت أن تهون الامر عليه فقالت له :

ـ لست اعرف من انت ، ولا اريد ذلك الان ، وكل ما هنالك انني اريد ان اقطع سطح الباخرة عدة مرات سيرا على الاقدام على سبيل الرياضة ، الا انني لا اريد ان اكون منفردة . فهل هذا الضرب من الرياضة محبب الى نفسك ؟

فاجابها ترانت : ولو لم يكن محببا الى نفسي فمن ذا الذي

يرفض مصاحبة مارسيلا موستيني ؟

– شكرا .. هيا بنا اذن ..

وتأبطت ذراعه وسارا يذرعان المشاة الطويلة بخطوات معتدلة منتظمة والجماهير تتبعهما بانظارها . اما الرجال والشبان فكانوا ينظرون الى ترانت شزرا وقد اغاروه نظرات العداء لفوزه بتلك الامنية العظيمة .

وبعد أن سارا قليلا سألته مارسيلا بعد أن استفسرت منه عن اسمه :

– وماذا تعمل ؟

– اشتغل بالادب ..

– وهل جمعت ثروة تذكر ؟

– كلا .. ليس بعد .

– ولكنك لست صغير السن على كل حال ، بل فى دور الكهولة على ما أرى . ولكن لا تفزع فالرجل بين الاربعين والستين يسمى كهلا .

– أعلم ذلك ، ولكننى فى الحقيقة ليس لى من الاقارب او ذوى الرحم من افكر فى امره او ارى من الواجب على أن اترك له ثروة يعتمد عليها من بعدى .

– وهل معنى هذا انه اذا عرض عليك عمل ما يعود عليك بثروة لا بأس بها ترفض قبول هذا العمل ؟

وشعر ترانت بأن الفتاة بدأت تقترب من الهدف الذى تسعى اليه والذى حدث من اجله هذا التعارف المفاجيء فقال لها : هذا يتوقف على امرين . نوع العمل ومقدار المكافأة .

فقالت مارسيلا : كلام حسم ينم عن عقل راجح وتدبير وحزم . اما نوع العمل فيسير لا تكتنفه خطورة ولا يتنافى وقواعد الشرف . اما المكافأة فيمكن ان تكون موضع مساومة .

– ولكن لماذا يقع الاختيار على بالذات ؟

– لاسباب خاصة بى . لست فى حل من ان اذكرها لك الان ؟

– هل لى أن اعرف شيئا ولو قليلا عن نوع العمل ؟

– كلا ولكنه لا يتعارض بايه حال مع صناعة الادب التى تمتهنها ..

والان حسبى هذه النزهة وشكرا لك على قبولك مصاحبتى .. الا تفكر فى زيارتى عصر اليوم ، لنتناول قدحا من الكوكتيل ؟

فقال ترانت متجاهلا : اين ؟ ..

– فى الجناح الخاص ببول زانويسكى .

– وكيف السبيل الى دخوله ؟

– ساعطى التعليمات اللازمة ليسمح لك بالدخول .

– ربما لا يوافق بول على هذه الزيارة ؟

– كلا مطلقا . حقيقة انه يغار على كثيرا ، بل لقد منعنى من الرقص منذ عرفنى وارتبطنا برباط الصداقة . ولكنه لن يعترض مطلقا على زيارتك . ان بول بشوش ومحب للسمر لدرجه مدهشة .

– ولماذا يسعى دائما الى الوحدة ويعيش فى معزل عن الناس ؟

فأجابته على الفور كأنما كانت تتوقع السؤال :

– لان الناس لا تقدر الراحة حق قدرها .. فلو ان بول غادر جناحه واختلط بالناس فلن يكون لهم حديث سوى الاعمال والصفقات الشيء الذى يمله بول ويسعى للفرار منه .. فالناس تخلط بين اوقات الراحة الحقة واوقات العمل وهذا ما يدعو صديقى لاعتزال الناس .. الى اللقاء اذن فى الساعة الخامسة .

وعاد ترانت ادراجه .. غير بمساعده لنفورد فى صحبة
السيدة مالو ولكنه لم يعرهما اى التفات اذ كان فى شغل
بمفاجأة اليوم يسال نفســه لماذا دعى لتناول الكوكتيل فى
مقصورة بول زانويسكى ؟

وبعد ان رفعت موائد الغــداء وانصرف اغلب الركاب الى
مقصوراتهم يلتمسون شيئا من الراحة سمع لنفورد قرعا خفيفا
على باب مقصورته .. وكان القادم ترانت نفسه .. وبعد ان
دخل وأغلق الباب خلفه اخذ يقول :

ـ لقد امضيت نهارى فى جد وعمل دون ان اتذوق طعمـ
للراحة التى جئنا ننشدها هنا .. لقد كثرت مشاغلنا مع ال
لم نبتعد عن ميناء نيويورك اكثر من عشرين ساعة .. لقد
زرت السيد لاتروست فى مقصورته وقوبلت اعظم مقـابلة
وديه .. واليك التفاصيل بحذافيرها .

وبعد ان انتهى ترانت من سرد قصته اخذ لنفورد يقول :

ـ انني ممن يؤمنون بتغير الناس وتبدلهم وخاصــة فى
السجون .. وبالمثل لا ارى غرابة فيما ينسبه لاتروست الى
امه من جنون .. فهى ليست اول ام تصاب بالجنون وتعادى
ابنها الوحيد .. ولكن هل لى ان اسالك عن حالته فى التوا
الاولى للمقابلة ؟ تلك اللحظات التى يكون فيها الانسان عـ
غير استعداد ومجردا من كل تكلف او اصطناع ؟ هل كان
تبدو عليه امارات الحقد والكراهية عندما رآك ؟

ـ كلا .. بل كانت آثار الدهشـــة العــادية .. بسبب
المفاجأة ..

ـ فى هذه الحالة ارجح ان يكون لاتروست صادقا فيمـ
قاله لك .. اما اذا كان يخادع فلا يسعنى الا ان اعترف
بالدرجة الاولى من درجات الاتقان ..

وقال ترانت بعد ان فكر مليا : بقيت هنالك حالة واحـ

لم تدخلها فى الحسبان سنفترض ان لاتروست صادق تماما،
وأن امه كانت مصابة بالجنون ، ولكن ماذا يمنع من ان يكون
المسكين يقاسى نفس العلة ويعـــانى ذات الداء ؟ ولذا ترانى
افضل ان التزم جانب الحذر بالنسبة له على كل حال . وتبقى
بعد ذلك الناحية المهمة من اخبار اليوم السارة .

ـ وما هى ؟ ..

ـ لا شــك انك رأيتنى فى صـــحبة مارســيلا عوستين
الحسناء ؟..

ـ أجل وكم حقدت عليك من جراء ذلك .

ـ اذن سيزيد حقدك عندما تعلم اننى مدعــو للكوكتيل فى
مقصـــورة بول زانويسكى وحى الان تظن ان اسمى مستر
التونى وأقيم فى دار متواضعة فى حى بلومسبرى حيث اشتغل
بالادب وخاصة كتابة القصص .

ـ وكيف حصلت على هذه المعلومات ؟

ـ منى طبعا ، ولقد الححت خلال الحديث الى احتمال عرض
عمل معين على ، ولكن لا تسالنى عن تفاصيل هذا العمل لاننى
ما زلت أجهلها .

ـ وهل انت مسرور لهذه الدعوة ؟

ـ بلا شك ، فانت تعلم كيف يعيش زانويسكى واى حرس
يحيط به نفسه ، فاقتحام هذه الابواب والمرور بهــذا الحرس
وتناول الشاى مع رجل يطمع الثالث من الفوضويين والوطنيين
والمتحمسين للسلام او اللانسانية فى خطف روحه وازهاقها
ليس من المسائل الهينة التى يعرض عنهـا الانسان . هـــل
نسيت حادث الاعتداء الذى وقع عليه فى برشلونة عـلى اثر
الثورة الاسبانية ؟

ـ وهناك سيدة تشاطرنى المائدة تدعى الليدى جلين لا تقل
رغبة فى قتله .

- اذا كانت الليدى جلين وغيرها من المتحمسين لقضية السلام يجاهرون بحقدهم على زانويسكى من أجل ما سببه من حروب وما أضرمه من ثورات ليبيع سلعه المهلكة ويمارس تجارته الممقوته . فهنالك من هم على استعداد للذهاب الى أبعد من مدى المجاهرة والاحتجاج ، أعني من يقدمون فعلا على اغتيال زانويسكى اذا سنحت لهم الفرصة .

- انها على كل حال دعوة مريبة وجدير بك ان لا تسر لها .

فقال ترانت : كلا لست بخائف ، بل أصارحك الحقيقة انني اشعر بشيء من الغيظ ، فلا شك ان مارسيلا وقع اختيارها على لعمل من الاعمال ، او بقول اخر لان اكون آلة في يدها ، وهذا ما يغيظني منها ، اجل سأذهب ، وسأرى ماذا يريدون مني ونوع العمل الذى سأكلف به ، وبعد ذلك يكون لنا الخيار في ان نضحك ملء افواهنا ، وثق يا لنغورد من الان ان بول زانويسكى لا يشترى الرجال الا لجلائل الاعمال .

فقال لنغورد : لقد حدثتني السيدة مالو عنه طويلا وأكدت لى انه مغرم بمارسيلا الى درجة الجنون .

- يبدو لى ان صديقتك السيدة مالو هذه تعرف الكثير من اخبار الناس ودخائلهم ، فمن هى يا ترى ، ولاى سبب تتحبب اليك وتتودد منك ؟ انى لاخشى من معالم النجابة التى تبدو على وجهها ، الم تلاحظ انها دائما ترقب من حولها كما لو كانت تتوقع شرا يباغتها من لحظة لاخرى ؟ .. والان هيا انصرف ودعنى اختلس سنة من النوم استعدادا لزيارة زانويسكى .

❊ ❊ ❊

كانت الساعة السادسة تماما عندما مر انتونى ترانت بين الخادمين العملاقين المدججين بالسلاح والقائمين خلف الباب

الخارجى لجناح بول زانويسكى .. ولم تكن الحجرة التالية او البهو الذى يليها باقل حراسة من الباب ، وهكذا حتى بلغ حجرة استقبال اجتمع فيها زهاء الخمسة عشر نفسا استغرقهم الشراب واستخفهم الطرب .. وهبت مارسيلا متثاقلة لمقابلة القادم وقدمته الى بول زانويسكى وكان أكثر الجماعة ثملا واشدهم صخبا وضجيجا .

وحاول بول ان يقدم انتونى ترانت بدوره للموجودين فقال له :

- هذا طبيبى الخاص الدكتور سكمال وذاك الاستاذ جريمش محامى الخاص وهذا سكرتيرى نيتش وذاك مدربى .

وتغافل بول عن خمسة أو ستة من الرجال الاخرين فادرك ترانت بالبديهة انهم من الحراس وليسوا من الشخصيات الهامة . كما اكتفى بول بذكر اسماء النسوة الاربع الموجودات فى الحجرة .

وأمر لترانت بشراب ثم انتحى به جانبا واخذ يقول له : لقد حدثتني مارسيلا كثيرا عنك وعن ولعك بالادب وتاليف القصص ..

كـ قصة تؤلف في العام يا ترى .. عشرة ؟

فضحك ترانت وقال :

- أوه .. كلا .. ليس بمثل هذه الكثرة .. ثلاث قصص كل سنتين .

- وكم تدر عليك القصة الواحدة ؟

- زهاء الالف جنيه ..

- اذن فذلك يعادل الف وخمسمائة جنيه فى السنة أم حوالى سبعة آلاف وخمسمائة دولار . ولكن ليس هذا بالدخل الكبير الذى يسمح لك بالسفر فى الدرجة الاولى وخاصة فى مثل هذه الباخرة .

به . لقد تبدل الرجل تماما . ولقد شاهدناك وأنت تغا
جناح بول زانويسكي وما ان وقع بصر اوستين عليك حـ
لكزني بشدة وقال لي وهو يشير اليك : « هناك الرجل الذ
أدين له بسعادتي الحالية ، انه يدعى انتوني ترانت ، و
من ملائكة الرحمة المعدودين في هذه البلاد » ، وقد الحـ
عليه في السؤال ولكنه لم يتكلم بصراحة عن سجنه طبعا
ولكنه اكتفى بان اكد لي بان شفاءه من اعظم علة نكب بها ا
يرجع فضله اليك .

ـ اذن فانت مطمئن اليه بعض الشيء ؟

ـ اعتقد ذلك يا عزيزي ترانت ، والا لتكون عيني لم ت
على ممثل امهر منه واخبث طوال حياتي .

ـ انني بالمثل لا اعتقد انه يفكر في التحرش بي بعد
شفي من المخدرات وبعد ان آلت اليه ثروة امه واصبح
الأثرياء .. وهل من انباء اخرى ؟

ـ كلا .. امضيت نصف ساعة بعد العشاء مع السـ
مــالو .

ـ وماذا كان حديثها في هذه المرة ؟

ـ بول زانويسكي .

ـ يبدو لي انها تعلم عنه الكثير .

ـ اجل وتحتفظ له في قلبها باشد حقد في الوجود ،
قضى على زوجها . لقد كان مستر مالو أيضا من تجـ
الاسلحة وله مصنعه الخاص ، ولكن حب الاحتكار
دفعا زانويسكي لأن يدبر له مكيدة مالية كلفته كل
ماله ، وانتحر الرجل على الاثر آسفا وكمدا لهذه الخديعة
ولكنه ترك على كل حال جانبا من الثروة يكفي لاسـ
زوجته التي ما زالت في ريعان شبابها .

ـ كلما تقادم بنا العهد في هذه السفينة تكاثر اعداء بول
زانويسكي .. لقد بدأت اتثاءب يا لنغورد .

ـ اسعدت مساء اذن .

ـ احترس في خروجك وتأكد من خلو الدهليز قبل ان
تخرج ، فما زلت افضل أن لا يعرف احد صلتنا ببعضنا .

واستيقظ ترانت قبيل الساعة السادسة صباحا على
اثر قرع ملح على باب مقصورته ، وكان الطارق احد الخدم
يحمل اليه رسالة خاصة من الضابط واردن المشرف على
الأعمال الادارية للسفينة وصديقه القديم ، يدعوه فيها
للاسراع اليه ، ودهش ترانت لهذه الدعوة المفاجئة ، الا انه
يضع وقتا بل ارتدى ثيابه مسرعا وتبع الخادم الى
المقصورة التي كان فيها الضابط واردن ، وما ان دخل حتى
وجد معه السير بارسيفال ربان الباخرة العظيمة «كارنوبيا».
وقام واردن بتقديم صديقه للربان قائلا :

ـ هذا يا سيدي هو مستر انتوني ترانت الذي اخبرتك
ه وهو من الهواة الذين درسوا الجرائم ومطاردة المجرمين
اسة عملية وله في امريكا حوادث غير قليلة تنم عن فرط
ائه وسعة حيلته ، ولقد توطدت بيني وبينه صلة الصداقة
مدة على اثر مساعدة قيمة اسداها الى ذات مرة
عتقد ان الحظ الحسن هو الذي ساق الينا مستر ترانت
هذه الرحلة ..

وقال الربان السير بارسيفال : انني اتوسل اليك شخصيا
مستر ترانت ان تهتم بهذه المسألة وتستجلي غوامضها .
وقال ترانت متسائلا : وماذا حدث يا سيدي الربان ؟
ـ اتعرف مستر بول زانويسكي صانع الأسلحة المعروف ؟
ـ اجل ولقد دعيت لتناول الكوكتيل في جناحه الخاص
ظهر الامس ..

ـ لقد اختفى فجأة ..

ـ ماذا .. ؟ ومتى كان ذلك .. ؟

ـ لقد ابلغنا احد رجال حاشيته المدعو المحامى جريمس

ـ لقد ابلغنا احد رجال حاشيته المدعو المحامى جريمس نبأ هذا الاختفاء في ليلة امس بعد منتصف الليل بقليل ..

ـ وما تفاصيل الحادث ، انني اعلم يقينا لا يخالطه الشك ان بول زانوبسكي ملتزم لجناحه منذ اعتلى سطح الباخرة لا يغادره مطلقا ؟

فاجابه الربان : حقا .. ولكن حدث امس بعد الغروب ان غادر بول جناحه للتنزه قليلا على السطح الأعلى للباخرة حيث حجرة اللاسلكي والانوار الكاشفة ، واصر على الخروج بمفرده دون ان يرافقه احد .. وصعد الى السطح وهناك ابصر به احد الضباط المدعو ويلى ، ولم يعد بول من هذه النزهة بعد ..

واطرق ترانت برأسه قليلا ثم سأل الربان :

ـ وهل اذعتم الخبر ..

فقال السير بارسيفال في صوت خافت :

ـ كلا .. لقد اردنا التريث حتى نتحقق من جلية الأمر فمستر زانوبسكي ليس من الشخصيات العادية فانه لا يهتم احد لاختفائها ، وفضلا عن شهرته الدولية فانه اكبر المساهمين في شركتنا التى تملك الباخرة « كارنوبلاعين » واختفاؤه من فوق ظهرها فجأة ليس بالأمر الهين ، وهو كما تعلم ليس لاعدائه حصر او عدد .. ولقد اوصانه النوتية والخدم والضباط جميعا للبحث عنه ولكنى لم اعرفهم اسمه الحقيقى ، ولقد بالغنا في الكتمان خشية ان يتصل الأمر بجماعة الصحفيين .

ـ وهل يوجد احد منهم على ظهر الباخرة ؟

ـ اجل ، لقد دعت الشركة ثمانية ليشتركوا في اول رحلة تقوم بها هذه الباخرة العظيمة ويكونوا في ضيافتها .. منهم اربعة يمثلون الصحافة الامريكية والاربعة الاخرون يمثلون زميلتها الانجليزية . وقد انصرف الأشقياء الثمانية الى الخمر ولعب البريدج ولن يفيقوا من ثملهم قبل ان تبلغ الشواطىء الانجليزية . ولكن اذا اشتموا رائحة لهذا الخبر جعلوا منه حادث الموسم .

فقال ترانت : وما هى المهمة التى يريد سيدى الربان ان يعهد الى بها ؟ .

ـ هذا معناه انك تعتقد انه لا يزال على قيد الحياة .

ـ هذا ما ترجحه حاشيته ، فلقد اخبرنى المحامى جريمس والدكتور سكمال ان زانوبسكي كان ثملا للغاية ..

ـ حقا .. لقد كان كذلك عندما ابصرت به في الساعة الخامسة ، ولابد ان يكون قد زاد سوءا في الساعة الثامنة .

ـ ولهذا فانهم يرجحون ان يكون قد لجأ الى مقصورة لأحد معارفه او اصدقائه حيث امضي بها ليلته ، وان تكون الخمر قد هيأت له ان يقضي ليلته في مكان ما بعيدا عن اللاعبين ، فانزوى فيه واستسلم للنوم العميق ، ولن يلبث ان يعود الى جناحه الخاص عندما يستيقظ ويرد الى ما حوله .

ـ او ان يكون اسيرا في حجرة من الحجرات ؟

ـ هذا جائز طبعا ، وكثرة أعدائه تبرر امكان ذلك ؟

ـ وفي هذه الحالة يقتضي الأمر تفتيش الباخرة تفتيشا دقيقا ..

ـ لقد قمنا بتفتيش كافة الحجرات والصالات ولم يبق سوى حجرات الركاب ومقصوراتهم . وهنا توقفنا عن العمل ، لأن القيام بتفتيش عام بسبب شكوى لا قبل لنا فضلا عن اثارة الاسئلة والشكوك .. ولهذا الغرض اضطررت ان الجأ اليك لتدبر لنا هذا الأمر ..

ـ انها مسألة دقيقة جدا يا سيدى الربان ، ولا سبيل
الى دخول مقصورات الركاب الا باحد طريقين ، اما باذنهم
وقد يثير هذا احتجاجا وصخبا واسئلة كثيرة ، واما بدون
علمهم ولن تكون التفتيش في هذه الحالة مجديا .
فقال الضابط واردن : لا تنس يا سيدى ان هنالك موج
من الانفلونزا تجتاح الباخرة وقد الزمت عددا كبيرا من
الركاب مقصوراتهم ..
ـ هذا سيزيد من دقة الموقف ، على اننى أعد بالعمل عل
إيجاد وسيلة تمكننا من التفتيش ، فقط أرجو أن تمهلني بعض
الوقت لتفكير فى وسيلة تمكننا من تفتيش مقصورات جميع
الركاب باذنهم ومحض رغبتهم ودون اثارة أى احتجاج او تذمر
من أى واحد منهم .. وقبل ان انصرف أرى من الضرورى
سماع اقوال الضابط ويلى الذى رأى زانويسكى على سطح
الباخرة الأعلى قبل اختفائه .
وبعث الربان فاستدعى ويلى وبدا هذا يدلى بمعلومات
قائلا :
ـ .. كان ذلك بعد الغروب بقليل ، عندما غادرت حجرة
اللاسلكى واتجهت الى السلم نازلا ، وابصرت بمستر بول
زانويسكى قادما وهو يرتدى معطفا رماديا ، اعتقد انه
المعطف الذى كان يرتديه عندما صعد الى الباخرة قبل
تقلع . وكان يغطى رأسه بقبعة زرقاء من نوع « البيريت »
ـ وهل كان بالسطح احد من الركاب غيركما .. ؟
ـ ان هذا السطح مرتفع جدا وللندر من يؤمه من
الركاب ، ولا تنس يا سيدى ان الامس كان عاصفا ، وبالتالى
كان المكان خاليا تقريبا الا من اثنين ، رجلا وسيدة ،
يقفان الى حاجز الباخرة ، وسيدة أخرى تقف بعيدا
عنهما . وابصرت بمستر زانويسكى قادما ، وعندما بلغ مكان

السيدة وصاحبها توقف قليلا ليشعل سيجارا مستترا
باحد قوارب النجاة ، ولكن الريح العاصف لم يمكنه من
ذلك ، واشعل زهاء السبعة أعواد من الثقاب دون أن يتمكن
من اشعال سيجارة ، فالقى به في غضب واستمر في سيره
وهو يسب ويلعن في دمدمة تكاد لا تفهم . وكنت قد بلغته
اذ ذاك ، فالقيت عليه التحية قائلا : « أسعدت مساء يا مستر
زانويسكى » ولكنه لم يجبنى واستمر فى سيره .
ـ وماذا كان من أمر السيدة الأخرى المنفردة ؟
ـ كانت تتبعه عن كثب ، وعندما توقف ليشعل السيجار
توقفت هى أيضا ، ولست ادرى أكان ذلك مصادفة أم
عمدا .. وكانت ترتدى معطفا أسود اللون بياقة من الفرو
وتغطى راسها بقبعة مائلة اخفت جميع وجهها .
ـ وهل انت متأكد من انه كان بول زانويسكى ؟
ـ كل التأكيد يا سيدى .
ـ وهل ابصر به الرجل والسيدة الأخران ؟
ـ لقد توقف بالقرب منهما واعتقد ان السيدة القت عليه
نظرة كافية للتعرف عليه .
ـ وماذا فعلت بعد ذلك ؟
ـ فى الحقيقة لم أهتم له ... لان رفضه اجابة تحيتى قد
جعل من تقسي بعض الشيء .. وليس من عادتى أن اتطفل
على الناس أو أفرض نفسي عليهم فرضا .. ولقد غادرت
السطح بعد ذلك مباشرة ولم اعلم باختفائه الا من سيدى
الربان .
ـ وهل يمكنك ان ترشدنا الى الرجل والسيدتين الذين
كانوا هناك وقتئذ ؟
ـ لقد بادرت بالتحرى عنهم وامكننى ان اتعرف على

الرجل وصاحبته .. وهو يدعى مستر لنفورد اما السيدة
التى كانت معه فتدعى السيدة مالو ..
وحاول ترانت أن يكتم سروره لهذه المفاجاة بينما استانف
الضابط يقول :
ـ ... اما السيدة ذات المعطف الأسود فلم اقف على اس
لها بين الركاب ولم يتمكن احد من النوتية او الخدم يزودني
بمعلومات عنها ..
ـ شكرا لهـــذه المعلومات الدقيقة يا عزيزى وبللى ..
سانصرف الآن يا سير برسيفال لاتدبر طريقة للتفتيش .
وذهب ترانت من فوره الى مقصورة لنفورد وكان هذا
قد بدأ بتزين استعداداً للفطور .. وأفضي اليه ترانت بكل
ما سمعه هذا الصباح .. فقال له لنفورد : حقا لقد كنت
والسيدة مالو هنالك ومر بنا هذا الرجل ولكنى كنت اولي
ظهرى فلم ار وجهه .. الا ان السيدة رأته تماما ويمكننا أن
نرجع اليها في ذلك .. ولقد ابصرت بالفعل السيدة الاخرى
ذات المعطف الأسود تتبعه عن كثب واغلب الظن انها كانت
تتعمد اخفاء وجهها .. وبعد ان مرا بنا غادرت والسيدة
مالو سطح الباخرة الأعلى لان البرودة كانت قد اشتدت .
ولكن ماذا تعتقد ان يكون مصيره يا ترانت ؟
ـ ان حاشيته الخاصة ترجح ان يكون مختفيا في مكان ما
بسبب سكره الشديد .. والربان يميل الى مشاطرتهم
هذا الرأى .. اما انا فاعتقد ان بول زانويسكى قـــد غادر
الباخرة من مدة .
ـ ماذا تعنى ؟
ـ اعنى انه قد حدث اعتداء عليه وانه قد القى من فوق
ظهرها الى اليم .

ـ انها لمأساة رائعة .. ولكن يجب التحقق من عـــدم
وجوده في حجر الركاب .
ـ بطبيعة الحال .. ولقد قصدتك لتساعدنى في هـذه
الغاية .. ان الربان يتكتم الامر ويجب ان يكون دخولنا
حجرات الركاب بطريقة خبيئة لا تثير شكوى .
ـ وما السبيل الى ذلك ؟
ـ اتذكر انك اخبرتنى بان الليدى جلين تصحب معهـا
قردا صغيرا ؟
ـ انى أستنتج ذلك .. لانها تخفى بعض الفاكهـة عن
المائدة .. وهى لم تصارحنى بذلك لانه كما تعلم غير مرخص
باصطحاب مثل هذه الحيوانات الى الباخرة .
ـ عليك الآن بعد الفطور ان تصحبها الى سطح الباخرة
وتشغلها بالحديث بعض الوقت بينما اتسلل الى مقصورتها
واسرق القرد الصغير .. وعندما تعود وتفتقده فلا تجده
ستبادر بابلاغ الأمر للربان .. وهنا تسنح لنا فرصـــة
تفتيش جميع مقصورات الركاب بدعـوى البحث عن قرد
الليدى جلين .. وستكون هى معنا بطبيعة الحـــال الامر
الذى لن يجعل أحداً منهم يعترض على ذلك ..
ـ يا لها من فكرة رائعـــة .. ولكن المسكينة ستصاب
بالجنون لفقد القرد ؟
ـ لقد اعددت له بعض ثمار الموز ليتسلى بها ريثما ينتهى
التفتيش ثم نعيده اليها سالما .
ـ وهل سيشمل التفتيش جميع السفينة بما في ذلك
الدرجة الثالثة ؟
ـ بلا شك لان الدرجة الثالثة هى المقصودة بالذات .
ـ لماذا ؟ .
ـ هل نسيت ان صديقنا اوستين لاتروست قد حذرنى

من بحار يدعى بازويك باذن واحدة يترصدنى ليغتالنى .

ـ اجل اذكر ذلك ..

ـ ان الغاية الأولى من التفتيش هى البحث عن رجل متين البناء مفتول العضلات تنقصه الأذن اليسرى .. ان تحذيرات لانروست لها معناها .. وهو لم يقصد بطبيعة الحال مجرد القاء الرعب في قلبى .. ان نفسي تحدثني بأن بازويك هذا معنا على ظهر الكارنوتيا .. اما بمفرده او مع لانروست .. والآن هيا بنا لنسرق قرد الليدى جلين ..

ـ ٣ ـ

قرع ترانت باب مكتب الضابط واردن وبعد أن دخل واغلقه باحكام قال له :

ـ لقد اختفى قرد الليدى جلين المدلل . ولن تلبث ان تكتشف الحادث بعد قليل فتهرع اليك باكية صاخبة ، وعليك أن تعيرني احدى ستراتك الرسمية لأتمم بها تنكرى واصحبها في التفتيش ..

وما ان أكمل ترانت ارتداء السترة واتم تنكره حتى اقبلت الليدى جلين وهي تكاد تثير الأرض لضياع قردها المدلل . واخذ الضابط واردن يطيب خاطرها قائلا ، وهو يشير الى ترانت :

ـ ان صديقى الضابط جيمس سيتولى هذه المسألة بنفسه ويمر بك في كافة الحجرات للبحث عن القرد ، واطمئنى الى مهارته لأن له سابقة عهد بتدريب القردة وترويضها .

وانطلقت الليدى جلين مع ترانت الذى اخذ يفتش مقصورات الدرجة الأولى الواحدة بعد الأخرى ، وكلما صادف راكبا متعجرفا قدم الليدى جلين لتتكلم وللحال يرضخ الراكب ويسمح بالقاء نظرة على حجرته .

اما القاء النظرة هذا فكان في الحقيقة تفتيشا دقيقا لم يترك ترانت خلاله مكانا الا بحث فيه واطمأن الى عدم اختفاء شيء فيه .

وبلغا مقصورة اوستين لانروست .

وقرع ترانت الباب ثم دخل يتبعه نوتيان والليدى جلين . وما ان علم لانروست بالغرض من قدومهم حتى بدا يعترض على التفتيش ويرفع صوته بالاحتجاج معلنا انه سيبلغ شكواه عن هذا التفتيش غير المشروع للسفير الأمريكي بمجرد بلوغه الأرض البريطانية ولم يتمكن بتاتا من معرفة ترانت في تنكره . وعندئذ اباصر هذا عناده افسح المجال للسيدة جلين فورا فجعلت تستعطف لانروست تارة وتحرجه تارة اخرى حتى رضخ اخيرا للتفتيش . ولم يترك ترانت ركنا يكفى لاخفاء سلحفاة ـ ناهيك برجل ـ الا فتشه ولم يبق امامه سوى صندوق اسود متوسط الحجم وطلب الى لانروست أن يفتحه فابى هذا في حدة معلنا انه يحوى أشياء خاصة لا يسمح للغير برؤيتها ، وعندما الح ترانت الى امكان استعمال القوة والعنف انقلب لانروست كالطفل واخذ يبكى ويستعطف ويتضرع اليهم ان يعفوه من فتح الصندوق الذى فقد مفتاحه من مدة . وانطوت الحيلة على الليدى جلين فقالت : لا داعى لفتحه طالما أن مفتاحه مفقود من مدة ولا يمكن ان يكون القرد قد تسرب اليه .

وازاء ذلك لم يجد ترانت مناصا من الخروج خصوصا وان الصندوق ما كان ليكفى مطلقا لاخفاء صبى فضلا عن عملاق مثل بازويك ذى الأذن الواحدة او رجل طويل القامة مثل بول زانويسكى .

وكان تفتيش حجرات الدرجة الثالثة اكثر مشقة ، وكان ترانت يقظا تماما في فحص الركاب وخاصة آذانهم . ولكن

انتهى التفتيش في هذه الدرجة الى مثل ما انتهى اليه تفتيش سابقتها .

وعاد ترانت ادراجه الى حجرة الربان وافضى اليه بنتيجة بحثه فقال له هذا : وماذا ترى بعد ذلك ؟

ـ لم يبق مكان في السفينة لم يتناوله التفتيش سوى جناح بول زانوبسكي نفسه .

ـ وماذا تعني بتلك الملاحظة يا مستر ترانت ؟

ـ اعنى انه اذا لم يكن زانوبسكي قد عاد الى مقصورته فيكون قد ذهب فريسة لاعتداء وقع عليه ، وتكون جثته الآن طافية فوق امواج المحيط على بعد عشرات الأميال خلفنا .

ـ وما رايك ؟

ـ رأيي ان تصحبني الى مقصورته لاسمع اقوال حاشيته ثم نتفق على راى نهائي .

وسار بصحبة الربان الى جناح بول زانوبسكي ولقى لنفورد في طريقه فاوعز اليه همسا ان يذهب الى حجرته ويأخذ القرد ويعيده الى الليدى جلين زاعما انه عثر عليه في الحمام حتى يذهب عنها الحزن وتنتهي الجنازة التى عقدت لواءها .

وكانت حاشية بول زانوبسكي مجتمعة في صالون الاستقبال وقد جلس في الصدر المحامي جريمش بينما اتخذت مارسيلا مقعدا منعزلا واخذت تسلى نفسها بورق اللعب .

وهب جريمش واقفا يرحب بالسير بارسيفال ويسأله عما اذا كان التحقيق قد اسفر عن جديد ، فاجابه الربان قائلا : كلا .. لم نعثر للآن على مستر زانوبسكي ولذا ارانى مضطرا الى ابلاغ الحادث لادارة الشركة .. وللسلطات المختصة .

فصاح جريمش قائلا : كلا .. كلا .. لا داعي لمثل هذه

الضجة ، فضلا من انها قد تسيء مستقبلا الى مستر زانوبسكي وتغضبه .

فقال الربان : ولكن لا يمكن السكوت على هذا العمل مطلقا !

ـ لا باس ، لا باس ، انتظر قليلا فلربما عاد مستر بول من تلقاء نفسه ، عليك ان تبحث في المقصورات و ..

ـ لقد قمنا بتفتيش جميع الحجر والمقصورات وقلبنا السفينة راسا على عقب .. ـ متى ؟

ـ هذا الصباح بحجة البحث عن قرد مفقود .

فصاحت مارسيلا ضاحكة : يا لها من حيلة جميلة .. اذن فقد كانت قصة القرد هذه مبتكرة . ؟ انها لحيلة فذة يا سير بارسيفال !

فالتفت هذا الى ترانت كما لو كان يتحفز لان يقول بانه صاحب الفكرة ، ولكن هذا قطع عليه الطريق قائلا :

ـ ان المسألة اخطر مما تتصورون ايها السادة . لقد اختفى مستر زانوبسكي ولم نعثر عليه في اى مكان في السفينة ومعنى هذا انه قد غادرها . وسواء كان ذلك بفعل فاعل متعمد او قضاء وقدر فالواجب يحتم ابلاغ الامر فورا الى الجهات المختصة .

فصاح المحامي جريمش : كلا .. كلا .. انى احذركم من عواقب اذاعة مثل هذا النبأ ، وسيكون مستر زانوبسكي اول الغاضبين له ، ولا تنس يا سير بارسيفال انه اكبر المساهمين في الشركة وليس من مصلحتك اغضابه .

فقال ترانت : ان السير بارسيفال سيؤدى واجبه ولا يأبه لتهديد .

فصاح جريمش : وما شأنك انت ..

ـ انني الضابط المتولى تحقيق هذا الحادث وسابلغه

لمراسلي الصحف الموجودين على ظهر السفينة على مسئوليتي الشخصية .. هيا بنا يا سيدي .

وتحركا نحو الباب يهمان بالخروج والمحال فتح باب حجرة مجاورة واقبل منه الدكتور سكمال واخذ يقول وهو يفرك يديه :

ـ مالي أراكما منفعلين ، لقد قمت بواجبك يا سير بارسيفال وانني لاشكرك بلسان مستر زانويسكي ..

فتوقف السير بارسيفال وقال : ماذا .. واين هو لتشكرني بلسانه ؟

ـ انه الآن في مخدعه يعاني آثار الساعات الطويلة التي امضاها في العراء ليلة الامس !

فصاح السير بارسيفال وترانت في وقت واحد : نريد ان نراه ..

ـ انني بصفتي طبيبه المعالج والمسئول عن حياته في هذه اللحظة امنع أي انسان من الدخول عليه قبل صباح الغد .. ان اقل تيار هواء يحدث في حجرته من فتح الباب وقفله قد يسبب له نزلة صدرية لا يرجى له منها شفاء .

ـ ولكن .. !

وهنا نهضت مارسيلا وتقدمت من الربان وقالت له :

ـ لقد عاد بول العزيز من تلقاء نفسه هذا الصباح .. ولكنه كان في حالة يرثى لها من السكر والمرض .. ولن يتحسن قليلا قبل صباح الغد .. ولقد منعني ايضا الدكتور سكمال من رؤيته مع انني كما تعلم اقرب الناس اليه .. فالامر كما ترى طارىء وضروري .

واطرق السير بارسيفال براسه قليلا ثم قال :

ـ حسن جدا .. سأعود صباح الغد لارى مستر زانويسكي مهما كانت الظروف .

فقال الدكتور سكمال :

ـ وفي هذه الحالة ترى مستر بول زانويسكي في اتم صحته ..

وعندما غادرا الحجرة التفت الربان الى ترانت وقال له همسا :

ـ ما رايك .. ؟

ـ لا يمكن ابداء رأي قاطع قبل صباح الغد .. على انني قد كونت فكرة لا بأس بها في هذا الموضوع ..

ـ ما هي .. ؟

ـ سأعلنها أمام الجميع صباح الغد بعد أن نرى مستر زانويسكي .

وعندما بلغ ترانت حجرته وجد لتفورد ينتظره فيها وما ان رآه حتى قال له :

ـ ان السيدة مالو تريد ان تراك في أمر هام ..

ـ وكيف عرفت ذلك ؟ .

ـ لن اخفي عليك شيئا ، فمنذ سمعت منك انها كانت تواجه بول زانويسكي ونحن على السطح الأعلى للباخرة اخذت استجوبها واسالها ما اذا كانت تحققت من وجهه .. ولعل الحاحي اثار ريبتها فاخذت تسالني بدورها .. وعندما اخبرتها ان صديقا لي يهمني امره جدا يهتم بهذا الموضوع عرضت على ان تقابلك لتفضي اليك بنبأ يسرك جدا ..

ـ الي بها اذن ..

وبعد دقائق كانت السيدة مالو في حجرة ارسين لوبين .

❊ ❊ ❊

وفي صباح اليوم التالي قصد انتوني ترانت حجرة الربان وكان هذا قد انتهى من تناول فطوره واستعد لمواجهة مسئوليات النهار . وما ان رأى ترانت حتى قال له :

— لقد اقبلت في الوقت المناسب ، فقد كنت اوشك ان اذهب الى جناح بول زانويسكي لارى ماذا كان من امره ، ولقد اصبت اذ اقبلت في تنكرك لتصحبني .

— انني على استعداد لان اصحبك يا سيدى الربان ، ولو انني على يقين من النتيجة .

— اية نتيجة ؟

— لا اريد ان استبق الحوادث او ان اكون بشير سوء . هيا بنا ..

وما ان بلغا الجناح الخاص حتى خف لمقابلتهما جريمش وسكمال . فقال الربان في لهجة حازمة موجها الخطاب للطبيب :

— لقد اخبرتني بالامس ان مستر زانويسكي قد عاد من احتفاله وانه في حالة شديدة من الاعياء جعلتك تفرض عليه رقابة صحية صارمة وتمنع اى احد من رؤيته !

فقال الطبيب : حقا ..

— ولقد وعدتني ايضا بامكان مشاهدته اليوم بعد ان يتحسن نوعا .

— اجل ..

— وارجو ان يكون قد تحسن بحيث يمكنني ان اراه ..

— لقد تحسن فعلا ويمكنك ان تراه وتتحدث اليه لولا ..

— لولا ماذا ؟

— لولا انه غافلنا وفر ثانية .. لقد غادر مخدعه في السابعة صباحا اى منذ ساعتين ولم يعد بعد ..

وقال المحامي جريمش : الا ترى ياسير برسيفال ان مستر زانويسكي يلذ له ان يوجد لنا المشاكل التي تشغل وقتنا واهتمامنا ، وان السأم والملل هما اللذان يدفعانه الى ذلك ،

ومثل هذه الرحلة البحرية يجب ان يتخللها شيء من التسلية .

فالتفت الربان الى ترانت وقال له : ما رأيك ؟

فقال له ترانت : رأيي أن هذين الأفاقين يكذبان ..

فصاح الطبيب مقاطعا بينما اخذ المحامي يهدر مهددا برفع الأمر للقضاء ان لم يبادر ترانت بالاعتذار وسحب عبارته فورا ..

اما ترانت فلم يعبأ بهما بل استمر يقول موجها الخطاب الى الربان :

— ان سر الموضوع يا سيدى هو ان الرجل المسافر على باخرتك باسم بول زانويسكي ليس هو .. بل شبيهه .. وتلك هي حيلة بول القديمة ، فهو يعلم أن حياته مهددة في كل لحظة ، ولذا فانه يستأجر بعض الرجال اشباهه ليحلوا محله في الأسفار والمواقف العامة عندما يريد أن يضلل اعداءه المترصدين او الجماهير اطلاقا . فالمعلوم للجميع الآن ان بول زانويسكي في طريقه الى اوربا . ولكن اذا فتشت عن الحقيقة لوجدت بول لا يزال في امريكا . او ربما سافر الى امريكا الجنوبية ليفاوض في عقد صفقة من صفقاته الجهنمية ، فالمسافر المفقود أجير ليس الا ، اما زانويسكي الحقيقي فلم يبحر مع الكارنونيا ، ويشاء الحظ العاثر ان يقع الاعتداء على هذا الشبيه المأجور ، وبما ان بحثنا لم يسفر عن نتيجة ، فلا بد ان المعتدين القوا بالشبيه عن ظهر الباخرة ظنا منهم انه زانويسكي .

فصاح المحامي جريمش :

— انك تكذب . اختلقت هذه القصة ، لقد ظهر مستر زانويسكي ولكنه خرج ثانية ولن يلبث ان يعود .

فقال ترانت : انظر . انهم يحاولون بكذبهم هذا ان يكسبوا

الوقت ، لقد طلبوا اليك عـــدم اذاعة الخبر حتى لا تنكشف الحيلة ويعرف جميع الناس أن لبول زانوسكى شبيها يمثل دوره كما يفعل الدكتاتوريون والحكام المطلقون الذين يخشون غضب جماهير الاحرار ونقمتهم ، فاختلقوا قصة ظهوره ثانية ريثما يصلون الى انجلترا ، ومتى وصلوا هنـــاك امكنهم الاتصال ببول في مكانه فيوافيهم بنفسه أو يرســـل بديلا جـــديدا .

وانت الان تواجه الامر الواقع يا سيدى الربان وهـــو ان رجلا اختفى من فوق ظهر باخرتك ولم يظهر التفتيش اى أثر له . وسواء كان هذا الرجل بول زانوسكى نفســـه او شبيهه فيلزمك ان تتخذ الاجراءات اللازمة وتخطر الجهات المختصة برقيا .

اما انا فقد دعوت الصحفيين الثمانية الموجودين على ظهر الباخرة الى قاعة التدخين وساقص عليهم المسألة بحذافيرها ليبادروا بابلاغها الى صحفهم وتكون قصة الموسم .

فصرخ الطبيب :

– لن تفعل شيئا من ذلك .. ان بول زانوسكى لا يزال على سطح الباخرة .

– اذن دعه يحضر الى قاعة التدخين ويكذبنى ..

وصاح جريمش قائلا :

– انه اكبر مساهمى الشركة ولن يغتفر لكم هذه الفضيحة .

– ان السير بارسيفال لا يأبه للتهديدات . هيا بنـــا يا سيدى .

وهنا تقدمت الفتاة مارسيلا موستين وصاحت بهم :

– لقد حبـــط تدبيرنا بسبب حماقتكما .. فلو انكما منعتما هذا المعتوه السكير مساء الامس من الخروج الى ظهر السفينة بالقوة لما حدثت هذه المأســـاة .. ولكن كلا منكما انصرف الى معاقرة الخمر ومخاصرة صديقته وتركتما هـــذا المأفون يخرج ليلقى حتفه .. سادلى بكل هذه التفاصيل لبول عندما اقابله .

فقال سكمال : لست مسئولا بالمرة . لقد حاولت منعه ولكنه أصر .. وجريمش هو المسئول الاول .. ولا تنسى ان صلة قرابته ببول تحول دون اغلاظنا عليه ..

والتفت ترانت الى السير بارسيفال وأومأ اليه برأســـه كما لو كان يقول له اتصدق الآن نظريتى ! فقال له الربان :

ـ هيا بنا يا عزيزى .. ودع الجـرذان تتشـــاجر اذ استشعرت غرق السفينة .

وعندما بلغا حجرة الربان سأل ترانت قائلا :

ـ ولكن كيف عرفت ان المختفى ليس بول زانوسكى ؟

ـ لأن السيدة مالو التى كانت مع لنفورد على السطح الاعلى للباخرة تمكنت من رؤية وجهه تمـــاما واكدت لى بالامس انه ليس زانوسكى .. ولكنى لم أتسرع بنقل الخبر اليك حتى ارى كيف يتمادى أولئك الأشقياء في خطتهم .. فعندما واجهونا بالاختلاق الجديد قائلين انه ظهر ثم عاد وفر من المخدع تأكدت من صدق الســـيدة مالو فورا .. وها قد تبين لك تماما أن المختفى شبيه زانوسكى وانه من اقاربه .

– وهل ستخطر الصحفيين .. ؟

– بكل تأكيد .. لاكشف الستار عن حيـــلة زانوسكى هذه .. انه رجل لا يستحق أى عطف أو رحمة .. وثق ان اشاعة هذه المسألة عنه ستحطم حياته العـــامة تحطيما تاما .. ولكن يبقى بعد ذلك شيء له اهميته .

– وما هو .. ؟

– من الذى ارتكب الجريمة .. ؟ من الذى ألقى بالشبيه

قريب زانويسكي الى البحر ؟ ومن هذه السيدة ذات المعطف الاسود التي كانت تتبعه ؟

- ٤ -

وبعد ان انتهى ترانت من ابلاغ القصة للصحفيين عاد الى مقصورته حيث ابدل ثيابه ووافاه اليها بعد ساعة صديقه لنفورد مستبشرا واخذ يقول له :

– لقد شاع بين الركاب حادث اختفاء شبيه بول زانويسكي وقد ابصرت بمراسلي الصحف متجمعين في حجرة ضابط اللاسلكي يتزاحمون على ارسال برقياتهم الى صحفهم وكل منهم يحاول ان يحرز قصب السبق .

– وهل ابصرت احدا من جماعة زانويسكي ؟

– كلا ... لقد لزموا الجناح الخاص بهم كالثعالب في اوكارها ولعلهم يقاسون الان آلام الهزيمة ويعدون العدة لملاقاة غضب بول زانويسكي نفسه ونقمته الشديدة بعد ما فضح امره . على ان هنالك فريقا من المسافرين لا يقلون ذعرا ورعبا فلقد لقيني الان مستر لانروست ..

فسأله ترانت مقاطعا :

– وما رأيه في الحادث ؟

– انه مسرور طبعا لحدوث مثل هذه الفضيحة لبول زانويسكي ولكنه يكاد يموت فزعا ؛ فقد قال لي واسنانه تصطك : « ولا تنس يا مستر لنفورد ان الجاني لا يزال طليقا لم ينل عقابه .. الامر الذي يسبب لي ارقا كثيرا . »

فقال ترانت :

– لقد أصاب لانروست فاننا لم نتمكن من معرفة القاتل ، على انني لا اعتبر هذا فشلا لي لانني لم اكلف بهذه المهمة رسميا ، فضلا عن ان المدة الباقية لبلوغ الشاطىء قصيرة جدا ولا تفي بشيء .

وكان ظهور الشواطىء البريطانية في الافق مؤذنا بانتهاء رحلة الباخرة « كارنوبيا » وانصرام ما قام على ظهرها من معرفة او صداقة مؤقتة بين جماهير الركاب .. ولم يشأ اوستين لانروست ان يغادر السفينة قبل ان يزور مقصورة ترانت زيارة قصيرة يستودعه فيها . ولقد سر ترانت لهذه العاطفة من لانروست وزادت من عطفه عليه وقال له متعطفا :

ـ وهل تنوي الاقامة طويلا في انجلترا يالانروست ؟

ـ كلا يا مستر ترانت لن امضي فيها اكثر من اسبوع واحد ثم ارحل فورا الى باريس .. الى حيث النور والجمال .

ـ وهل تشعر بحنين الى باريس بمثل هذه الشدة ..؟

ـ لا تنس انني لم ارها من قبل يا مستر ترانت ولكن ما سمعته عن المكتبات الموجودة على ضفاف السين حيث تعرض الوف الكتب والاسفار لمن يريد ، وتجمع الهواة حولها يقلبون صفحاتها وينتقون ما يروقهم باثمان لا تذكر ، هذه الصورة من الحياة تروقني وتستهويني ولذا تجدني اريد ان اطير لباريس طيرانا .. وهل ستبقيا طوال الوقت بلندن يا مستر ترانت ..؟

ـ كلا .. سننزل بفندق ريجنت وهو اشبه بمنزل خاص في حي مارتفيلد حيث يمضي زهاء الاسبوع ؛ وسارحل بعد ذلك لزيارة صديق قديم في اسكتلنده لامضي اسبوعين او ثلاثة بينما يظل لنفورد في لندن وفي الفندق نفسه .

ـ وما عنوانك في اسكتلنده فيما اذا رغبت في الكتابة اليك من باريس ..

وقدم له ترانت بطاقة بعد ان كتب عليها عنوان المنزل وعنوان مضيفه في اسكتلنده ؛ فتقبلها لانروست شاكرا ممتنا كما لو كان يجد في اعطائه العنوان اهتماما من ترانت

ا كان يتوقعه بتاتا وبعد ان تصافحا انصرف كل منهما يعد حوائجه ..

ونزل ترانت النفورد بفندق ريجنت كما اتفقا .. وبعد اسبوع كان ترانت في اسكتلنده وقد خلف لنفورد وحيدا بلندن .. واقبل عيد راس السنة بعد ايام ، وتلقى ترانت ذلك الصباح بطاقة مصورة من باريس سطرت على ظاهرها عبارة واحدة :

« تحياتي واحترامي

لارنوست »

اما لنفورد – وكان لا يزال في لندن – فلم يتلق بطاقة وانما كتابا ولعل اهم فقراته فكانت : « ..ولم احاول ان ازعج مستر ترانت بهذا الكتاب بل آثرت ان يكون من نصيبك ، لان لديك من الفراغ اكثر مما لديه . ولا تفزع عندما اصارحك بانني قابلت في حانة امريكية هنا احد الاشقياء الذين كانوا يمدونني المخدرات في العهد الاول ، وهو يشارك فرنسيا في نفس هذه التجارة الرهيبة ويتجران بها مع الامريكيين المقيمين في العاصمة الفرنسية او يمرون بها في مواسم السياحة . ولقد ابتعت منه كمية صغيرة واتلفتها فورا . ولعلك تريد ان تسالني لماذا كلفت نفسي هذه المشقة بدلا من ان اطرده شر طرد وارفع امره للسلطات ؟ ولكن هنالك عدة اسباب تحول دون ذلك ، الاول والاهم انني لو فعلت ذلك لانتشلوا جثتي صباح اليوم التالي من مياه السين كما اخبرني شريكه الفرنسي في قالب هزلي متكلف ، واعلم يقينا لا يخالطه الشك انهم لا يترددون في فعل ذلك . ولكنني فكرت في خطة اخرى اعظم واقوى سيهتز لها مستر ترانت طربا . اجل .. ساحاول ان استدرج هذين الشقيين الى لندن سأقنعهما بأنني غني وعلى استعداد للاشتراك معهما ماليا في مشروع واسع النطاق يتلخص في توريد المخدرات لانجلترا والاتجار بها سرا ، اجل سأستدرجهما الى انجلترا وحتى وصلا بالبضاعة تركت لك ولمستر ترانت امر الاتصال باسكتلنديارد في شانهما وساكون بطبيعة الحال بعيدا عن المرحلة النهائية للمعركة ما امكن . اذ لو علما انني خنتهما فلن يترددا في قتلي .

ولن البث ان اتم خطتي في خلال الشهر المقبل ، وساستاجر لهما منزلا كبيرا بالقرب من الســـــاحل ويبعد عن الطرق العمومية ولا يبعد عن لندن اكثر من ساعة واحدة في السيارة . وبظن الشقيان او انني جعلتهما يظنان انني على صلة وثيقة بالكثير من اثرياء الانجليز والامريكيين في لندن الامر الذي سيجعل الاتجار ميسورا .

واذا لم اتصل بكما بعد شهر فاعلم يا عزيزي انني لست من المهارة كما تتصور وان الشقيين قد اكتشفا امري وعرفا بما اعتزمه من هلاك محقق لهما فاستبقاني الى الشر وقضيا علي .

« لارنوست »

وعندما عاد ترانت الى لندن ابلغه لنفورد بالخطاب واطلعه عليه وكان قد مضى على تسلمه زهاء الشهرين .. وتلاه ترانت اكثر من مرة ثم قال :

– لقد ارشكت المهلة ان تنتهي .. ولو كان يسير في طريق النجاح فلا بد ان يكون قد اتم اســـــتعداداته في انجلترا واستدرج شريكيه اليها .. وعلى كل حال فاننا نتمنى له النجاح ولكننا لن نغير برنامجنا مطلقا بسبب مسالته هذه ..

– وهل معنى هذا انك تعتزم السفر يا استاذي ؟

– بكل تاكيد .. فما معنى البقاء وانتظار هذا المافون ؟

– ولكنه يعول عليك تماما عندما يستدرج اولئك الاشقياء الى هذه البلاد .

– اصارحك القول يا لنفورد انني لست مرتاحا بتاتا الى هذه القضـــــية .. ولا تنس ان حادث الاعتداء على شـــبيه

زانوسكى وضع على الرف الى جانب غيره من القضايا غير
المحلولة .. وهذا مما يجعلنى ارجح ان ارسين لوبين قد اصبح
فى حاجة شديدة الى الراحة الطويلة ان لم يكن فى حاجة الى
الاعتزال النهائى !

- هون عن نفسك يا استاذ . ان تاخير الوصـــول الى
النتيجة النهائية فى قضية واحدة يجب ان لا يحمل على محمل
المحمل السيء .. ولكنى اتوسل اليك ان تحقق رجاء ذلك
الرجل اليائس ..

وقرع جرس التليفون .. واذا بالمتكلم لانروست نفسه .
وما ان علم بعودة ترانت من اسكتلنده حتى وعد بالحضـــور
فورا ..

وكان لانروست فى هذه المرة اكثر تحولا وشحوبا من ذى
قبل . ولم تفت هذه الظاهرة ترانت وصديقه .. وقال اولهما
مستفسرا :

- اراك قد اندفعت كثيرا فى تيار الحياة الباريسية ؟

فاجابه لانروست :

- انك لدقيق الملاحظة يا مستر ترانت .. لقد نقص وزنى
حقا ما يقارب الخمسة كيلو جرامات ولكن ليس ذلك بسبب
الحياة الباريسية التى تعهدها .. بل لاننى كنت اعيش بين
براثن الموت .

- وما الذى يدفعك الى ركوب هذه الاخطار يالانروست ؟
تعلم-اننى لم أغادر أمريكا مهاجرا الا لاتخلص من تلك العصابة
اننى لم أغادر امريكا مهاجرا الا لاتخلص من تلك العصابة
التى كانت تحيط بى وتشجعنى على تعاطى المخدرات وتسهل
لى سبيل الحصول عليها ، وكنت اظن اننى فى انجلترا وفرنسا

بمنجاة من شرورهم ، ولكن يشاء الحظ العاثر ان يلاحقونى
فى هذا الجانب من المحيط .

ولقد فكرت فى الامر مليا وقلبته على وجوهه المختلفة .
وانتهيت الى ان هذه العصبة لو تركت وشأنها فلا بد انها
ستتغلب على ارادتى فى النهاية وتعيدنى الى حظيرة الداء الذى
شفيت منه بمعجزة . وثق يا مستر ترانت اننى لو عدت الى
المخدرات ثانية يوما ما ، فسانتحر فورا فى اليوم التالى . وازاء
ذلك لم يبق الا ان اتخلص من شرورهم فاوهمت هـــذين
الشقيقين اننى اريد ان اشاركهما فى صفقة كبيرة يجلبانها الى
انجلترا على ان نقتسم الارباح . ولقد وعدا بالحضور مع لمبة
قليلة ليتخيرا الجو . واعلم انهما انما قبلا الشركة رياء لان
ما نيتهما الحقيقية فهى ان ينفردا بالربح بعد ذلك ولو ادى
ذلك الى قتلى .

ومن ذلك ترى اننى لم اقدم على هذه المغامرة يا عزيزى
رغبة منى فى المغامرات او حبا فى المخاطرات بمثل ما تفعل
انت . كلا . بل اقدمت عليها مكرها كى اتخلص من مصيبة
اشد نكرا . لكى احمى حياتى من هذه العصبة التى لا تعرف
الرحمة معنى .

وعندما انتهى لانروست من قصـــته كانت الدموع قد
تجمعت فى مقلتيه واوشك ان يفلت زمامها من جفونه ، ولكنه
استجمع قواه والتزم رباطة الجأش وقال له ترانت وهو يربت
على كتفه :

- طب نفسا يالانروست ، لا يوجد انسان فى هذا العالم
للرحمه سبيل الى قلبه الا يؤخذ بقصتك هذه . واننى قد
بسطت يدى لحماية الكثيرين فهل تظن ان اقبضها عندما ارى
رجلا يصارع ويجالد ليحرر نفسه من اشنع عادة عرفت فى
هذا الوجود ؟ كلا يا عزيزى ، سأقف الى جانبك حتى النهاية .

ومتى وصل هذان الشقيان الى انجلترا سأعرف كيف ادبر
جزاء ما قدمت ايديهما .

عليك ان تبادر باعداد كل شيء ، وعندما يحين الوقت
بابلاغي .

فتنهد لانروست كما لو انزاح عن قلبه عبء ثقيل وقال

- لقد اعددت كل شيء يا مستر ترانت .

- بمثل هذه السرعة ؟

- لقد حضرت الى لندن منذ اسبوعين ، ولكني لم اجر
الاتصال بكما خشية أن اكون مراقبا من هذين الشقيين
ان اتممت اجراءاتي وتأكدت من انهما لا يزالان في فرنسا
بادرت بالحضور .

- وهل اتممت استئجار المنزل ؟

- اجل وفي بقعة تنطبق عليها كافة الصفات التي اشترط
الشقيان وقد ابرقت اليهما بذلك وتلقيت منهما رسالة تحو
انهما سيعبران المانش الليلة في زورق بخاري ونتقابل في
المنزل في منتصف الليل .

فصاح ترانت :

- اذن يتحتم علينا ان نسرع في الذهاب لنكون في انتظار
.. هيا يا لنفورد واعد الحقائب ريثما اطلب سيارتي
الجاراج ..

فقال لانروست :

- لاتكلف نفسك هذه المشقة يا مستر ترانت ، ان سيار
في الانتظار .

***

وكان لنفورد يعرف هذه البقعة من مقاطعة ايسكس
معرفة تامة ، ولم يكن لانروست باقل معرفة للبلاد التي
بها منه ، مع انها كانت زيارته الاولى للجزر البريطانية

وعندما بلغت بهم السيارة مدينة وودبردج قال لانروست :

- سننحرف هنا يمنة في اتجاه البحر ، ولن نلبث ان نشرف
على المستنقعات ونستنشق هواءها الرطب .

وبلغت السيارة نهاية الرحلة وتوقفت بباب منزل كبير يطل
على المستنقعات ويبعد عن اقرب القرى بمسافة بعيدة ، وترجل
لانروست من السيارة وهو يقول :

- انني لم اقل أنه قصر منيف ، ولكنه متوسط الاتساع على
كل حال ويحتوي على عشرين حجرة بخلاف الجراج واصطبلات
الخيل . ولا يقيم معي فيه سوى اورليد هذا وزوجته ، وهي
طاهيه ماهرة .. انني أشعر بالبرد ينساب في عروقي ..
الا تفكران في قدح من الشراب على وجه السرعة .

وتبعاه الى بهو المنزل وكان مضاءا بالكهرباء وقد اشتعلت
في احدى مدافئه نار قوية ، فاتجهوا اليها واتخذوا مقاعدهم
بجانبها . وبعد ان تمتعوا بالدفء قليلا هب لانروست واقفا
واخذ يقول وهو يفرك يديه :

- سأذهب لأرى ماذا اعدت لنا السيدة اورليد .

وبعد ان غاب قليلا عاد وهو يحمل صينية عليها ثلاثة اقداح
وزجاجة شراب فوضعها امام صديقيه وقال لهما :

- ما زالت طاهيتنا الماهرة تعد الطعام ، وقد اوشكت ان
تنتهي ، وقد احضرت لكما الشراب لترتويا قليلا ريثما اعد لكما
حجرتيكما .

وانصرف الى الحقائب ليحملها ، فهب لنفورد واقفا واخذ
الحقيبتين منه قائلا :

- دعني اساعدك في حملها يا مستر لانروست .

- شكرا لك يا بني على ترفقك بضعفي وشيخوختي .
الحجرة قريبة جدا ولن احرمك من التدفئة طويلا ..

وسار لانروست يتبعه لنفورد حاملا الحقيبتين حتى غابا في

نهاية البهو . وعاد لانروست بعد خمس دقائق وهو يقـــول
لترانت :

لقد اعددت مفاجأة سارة لك يا مســـتر ترانت وق
ساعدني فيها لنفورد .

ونهض لوبين فتبعه في هدوء وسارا في دهليز يكاد يكو
مظلما حتى بلغا حجرة في نهايته ما ان مر ترانت ببابها حت
ادرك انها حجرة المكتبة . وابصر لنفورد جالسا على احد المقاعـ
ويتطلع اليه في دهشة وذهول ، وتقدم خطوتين ليمعن النظ
في صديقه ، فاذا به يراه مكمما ومربوطا في المقعد رباطا دقيـ

وفيما كان يتأمل صديقه شعر بأن هنالك من يقف خلف
تماما ولم يلبث ان احس بجسم صلب يدفع في جانبه الايس
ازاء قلبه مباشرة وسمع صوتا اجش يقول له في لهجة امريكـ
دارجة :

- ارفع يديك لتلمس بهما السقف ، ودعهما فوق رأسـ

وصدع ترانت بالامر وبدأ الاخر يتحسس جيوبه باحثا عـ
سلاح فلم يجد شيئا ، وسطعت الانوار في الحجرة فجأة وبد
ترانت يتبين المكان تماما ، وصدق ما توقعه .

لقد كان صاحب الصوت الاجش هو سائق السيارة العملا
الذي دعاه لانروست باسم اورليد ، ودفع هذا ترانت الى احـ
المقاعد وامره بالجلوس فامتثل ، وادرك ترانت انه قد صـ
طعاما الى فخ اعد له بمهارة وان اي مقاومة معناها الموت المحتـ
اما الطاعة او تكلف الاستسلام والتظاهر به ، فانه على الا
يؤجل قليلا من هذا المصير المشئوم .

وكان لانروست يقف وسط الحجرة يكاد يقفز فرحا وسرو
وفيما كان اورليد يدير وثاق ترانت ويربطه في المقعد بشـ
لا تدع املا في النجاة بدأ لانروست الحديث قائلا :

- لقد نصحتك يا مستر ترانت ان لاتخدع آلهة الحظ ، فلا تقل بعد ذلك انني لم احذرك .

وتقدم من لنفورد ونزع الكمامة عن فمه وهو يقول له :

- لقد اضطررت الى ان اضع هذه الكمامة على فمك كي امنعك من الصياح وتحذير صديقك .. اما الان فيمكننا ان نرفعها ، فمهما رفعت عقيرتك بالصياح فلن يصل صوتك الى احد من الاحياء .. فلا اقل من عشرة اميال بيننا وبين اقرب كوخ في الجوار ..

ثم التفت الى العملاق وقال له :

- الافضل وقد انتهيت من ربطه ان تعد لنا العشاء لانني اشعر بجوع شديد .. واعطني مسدسك قبل ان تذهب ..

واعطاه المسدس وانصرف . وكأنما اعاد السلاح الطمأنينة الى قلب لانروست فعاودته الثرثرة واستأنف يقول :

- والان ما رأيك يا عزيزي ترانت .. تكلم بحرية تامة ولا تخش شيئا .

- ليس لي ما اقوله سوى انك خدعتني باشنع ما يمكن ان يلجأ اليه رجل .. وانني لجد آسف من اجلك ، فما كنت اود الحضور مطلقا واسأل لنفورد اذا شئت ، ولكنني خشيت ان تعرض نفسك لأذى الهاربين وآثرت ان احضر لأحميك منهم ، فحضوري لم يكن سوى لاشـــفاقي عليك ، ولانك اثرت في نفسي عاطفة الاشفاق عليك والرثاء لحالك ، وتلك حيلة لايقدر عليها سوى النساء يا عزيزي لانروست .

فقال لانروست وهو يحاول كظم غيظه :

- لك ان تصف براعتي كما تشاء والعبرة بالنتيجة على كل حال ، ووجودك اسيرا بين يدي يدل على انني افضلك مهارة وحسن تدبير . لقد امضيت السنوات وانا انتظر على احر من الجمر تحقيق غرض واحد والوصول الى هدف واحد ادعو له

ليل نهار ، لقد اقسمت قبل ان ادخل السجن ان اللك
وكان همى الوحيد ان ابر بهذا القسم ، وها قد بررت بيمينى
ووجودك هنا دليل على ذلك .
فقال له ترانت :
- اذن فكنت تراقبني في نيويورك ..؟
فاجاب لانروست بفخار :
- اجل منذ غادرت السجن ، وما سافرت على هذه الباخر
الا لعلمى انك مسافر على ظهرها ..
- ومن هو هذا العملاق الذى يصحبك ؟ ؟
- اما عرفته بعد ... انه البحار بازوبك ، لقد خدعنا
ثانية يا عزيزى ترانت .. لقدقمت تبحث عن بازوبك باعتبار
ذا اذن واحــدة .. حقا لقد غررنا بك ايها الثعلب الكبير
واخفيت عنك اننى عهدت الى احـد الجراحين بتركيب اذ
لبازوبك على نفقتى الخاصة كى تضل فى البحث عنه ، ال
لا تدرى مدى سروره لوقوعك فى ايدينا فسيتمكن من ان ينفذ
الـ...ـة المنكرة التى اعدها لك من زمن .
ثم اشار الى لنفورد وقال مستطردا :
- ... اما هذا الابله فسيتبعك طبعا الى هذا المصـ
المشئوم بمثل ما يتبع الكلب الوفى سيده ..
فقال له ترانت :
- اذن فقد وطدت العزم على قتلنا ؟
- اجل يا عزيزى انتونى ، وخليق بك ان تقطع الامل بتا
ولا تعلق اى رجاء على وصول المهربين الذين وعدتك بهم لا
شخصيات خيالية من إبتكارى ونسج خيالى ، اننى لم اش
هذا المنزل ، بل استأجرته لمدة ستة شهور وباسم مســ
طبعا ، تصور ان جثتك ستبقى هنا ستة شهور قبل ان يـ
عليها احد ..

- اتعنى انه لا يوجد هنا احد سواك وبازوبك ؟
- فقط ... وفى ذلك الكفاية ، ولا تظننى ضعيفا مطلقا
... كلا ... اننى جد نشيط وصحيح البنية ، ولو نازلتمانا
لتفوقنا عليكما بسهولة . ومالنا نفترض النزال وكل منكما
مدار الوثاق ويكاد يكون فى قبره . لقد قضيت عليكما بالموت
ولا مرد لذلك .
- حسبك يا هذا .. الا تنزل قليلا من سماء عليائك ..؟
- وهل تشك فى ان مصيرك الى الموت العاجل ؟ اما زلت
تطمع فى النجاة ؟
- .... او على الاقل فى عقاب ينزل بك ..
- كلا ... طب نفســا ، لن ادفع ثمن هذه الجريمة .
سأربط الى جثة كل منكما حجرا كبيرا يهبط بهــا الى قاع
المحيط فى ثوان معدودة .. ولا تنس يا صــاحبى انه لم
يشاهدكما احد تدخلان هذا المنزل ، ولن يراكما احد وانتما
تغادرانه تحت جنح الظلام ..
فالتفت ترانت الى لنفورد وقال :
- اشدد عزيمتك يالنفورد ولا تأبه لاقوال هذا المعتوه فلن
يجرؤ على تنفيذ شىء من هذه التهديدات ..
فأجابه لنفورد مبتسما وقال :
- واعجب ما فى الامر انه يتابع تمثيل دوره بمهارة فائقة
.. وعلى الرغم من ان اعراض الجنون تطل من عينيه الا انه
يحاول كبح جماحها والسيطرة عليها ..
ولم يزد لنفورد شيئا على عبارته هذه ، وكأنما اراد ان يلفت
نظر صديقه من طرف خفى الى انهما يواجهان مجنونا فاقد
العقل لن يتردد فى ان يقضى عليهما فى اية لحظة . وكان
لنفورد يعلم تماما ان ارسين لوبين وجد فى ظروف اشــد
حرجا ونكرا ، وعـلى الرغم من ذلك فقد تمكن من الفرار

والنجاة ، وذلك بفضل حيلته الواسعة ٠ او بسبب مساع
خارجية تلقاها فى الوقت المناسب ٠ ولكن هذين العامل
معطلان فى هذه المرة ٠٠ فالخصم اقوى ارادة يمتلىء صد
حقدا وموجدة ويفيض عقله جنونا وخبلا ٠ والمساعدة الخارج
لا امل فيها البتة ٠ فلا اقل من عشرة اميال تفصلهما عن ا
نقطة امامية للعمران ، والاهم من هذا كله انه ما من احد يعر
بقدومهما الى هذا المكان ٠٠

هكذا كان تفكير لنفورد عندما صاح بهما لانروست
متذمرا :

– اذن فانتما تظنان انى لن اقدم على تنفيذ ما هددت به
يا للغباء ! انكما لم تفهمانى تماما بعد ٠٠ لست بالرجل الذ
الذى يضعف او يلين ٠٠ وهل تظنان انى عرضت نفسى ل
هذه المشقة والنصب لمجرد المزاح ٠٠٠ او لاسلى نفسى بالضح
عليكما ٠٠٠؟

– لئن ضحكت الان ، فلقد ضحكت عليك بدورى من قبل

فصاح لانروست : متى ؟ ٠٠

فاجابه ترانت : على ظهر الباخرة ٠٠

– انك تكذب ٠٠

– بل انى صادق ، الم تجلس فوق صندوقك الكبير تب
كالطفل عندما دخل الضباط حجرتك يبحثون عن قرد الل
جلين ٠٠٠؟ كنت تبكى كالطفل تكاد تنتزع منه دميته ٠٠
ضحكت عليك بقية يومى ٠٠

– ومن اخبرك بهذا ؟

– لقد رايتك بنفسى ، لانى كنت الضابط المساعد ٠

فقال لانروست مقرا :

– لقد قمت بدورك بمهارة فائقة وكان تنكرك متقنا
ولكن لو عرفت ماذا كان يحوى الصندوق وقتئذ لتلب

لى العقدر ٠٠

– وماذا كان به ؟

– ثياب نسائية ٠ معطف اسود ذو ياقة من الفرو ٠
وحذاء اسود ٠

وسمع وقع اقدام تقترب ولم يلبث ان اقبل بازويك العملاق
يحمل طعاما وشرابا ووضع الصحاف على المائدة وجلس
لانروست اليها وجعلا ياكلان ٠ وافرغ لانروست كاسا شربها
بشراهة ثم قال :

– اتعلم السبب فى تناولنا العشاء هنا على مرأى منكما ٠؟
لانى اعلم ما بكما من جوع شديد ٠ واكل مثل هذا الشواء
امامكما نوع من العذاب تلتذ له نفسى ٠

وقال له بازويك :

– لا تناولنى زجاجة الشراب يا سيدى الرئيس ، لقد امضيت
ساعات طويلة وانا فى مقعد القيادة ٠

وناوله لانروست الزجاجة وهو يقول :

– ان اشفاقى عليكما هو الذى يدفعنى لكى اطيل من
عذابكما ، فلو اننى اجهزت عليكما فورا لما كانت هنالك فرصة
للندم والتوبة ٠ ولذا افضل ان تجربا هذا النوع من الموت
البطىء لتندما وتتوبا كما تريدان ٠

وانصرف لانروست الى الطعام يلتهمه بنهم وشراهة ٠ اما
ترانت فلم يكن جوعانا لدرجة تجعله يهتم او ياسف للمائدة
المنصوبة امامه ،بل كان اهتمامه منصرفا الى موقفه الحالى اكثر
من اى شىء اخر ٠ والتفت الى لنفورد مبتسما ٠ وبدت الحيرة
على وجه هذا ولم يدر كيف يعلل هذه الابتسامة ٠ هل هى
عنوان لليأس والاسف ، ام تنم عن امل ويفهم منها ان صديقه
قد تلمس بابا للنجاة ٠٠٠؟ ورجع لنفورد السبب الاول ،
الى الحالة التى ربطا فيها الى المقاعد واحكام الوثاق ومغالاة

الحبال ما كانت تدع مجالا لمثل هذا الامل ، فكل منهما محرو
تماما من استعمال يديه او ذراعيه او قدميه • بل ان الحبال
كانت تدور على اطرافهما بشدة وتغوص في الجلد واللح
بشدة منكرة تثير الالام المبرحة •

واخذ لنفورد يجيل اطرافه في انحـــاء الحجرة بإمعان
وكانت المكتبة مربعة الشكل يزيد ارتفاعها عن العشرين قد
ويتوسط هذا الارتفاع شرفة من الحديد تقـوم حول الجدرا
وتجعل شبه طابق ثان ، ويصعد اليها الانسان بواسـطـ
سلم حديدي يقوم في ركن المكتبة • وكانت رفوف الكتب تقو
من الارض الى ما يقارب السقف • ولعل صاحب الدار قد تعـ
اقامتها في هذا المكان النائي بعيدا عن الضوضاء حيث يتمت
بالمطالعة في هدوء تام لا يشوبه شيء • وكانت قيود لنفورد
تؤلمه باستمرار بل ويتزايد الالم شيئا فشيئا حتى لقد اخـ
يسال نفسه ما اذا كان سيتحمل هذه الالام للنهاية ••

واستقرت نظراته اخيرا على بازويك العملاق وقد امســ
بقطعة من العظم يعمل فيها اسنانه بعد ان ذهب بما كان علي
من تسائل اللحم ولاحظ البحار العملاق اهتمام لنفورد بامره
وكانما اساءه ذلك اذ صاح به :

ـ لماذا تحدق النظر الي •• هل تشتهي نفسك هذا الطع
•• افتح فمك يا صاحبي لتلقم هذه •

ورماه على الاثر بقطعة العظم الصلبة فاصابت حاجبه بشد
واهتز لنفورد في مقعده وقد انبثق الدم من الجرح واخـ
يتحدر على وجهه • والتفت الى ترانت وقال له :

ـ ترانت • سيكون هذا الرجل من نصيبي •

فاجابه هذا في حزن والم :

ـ ليكن ما تريد يا لنفورد ولو انني كنت اريد ان احتفظ

لنفسي خاصة • فرفع البحار العملاق عقيرته مقهقها ثم صاح
يقول :

ـ يا لكما من مغرورين •• هل تؤملان في النجـــاة من
قيودي •• ؟ فصاح به ترانت :

ـ اجل •• وليس ذلك فحسب • بل ونؤمل في ان نرى
العقاب ينزل بكما • فاجابه بازويك :

ـ لقد أخطاتك مرة ، ولكني لن اخطئك مرة اخرى ••

ـ ماذا تعني ••؟

ـ عندما القيت ببول زانويسـكي الى البحر ظننا متى انه
مات •• فصاح به لانروست متذعرا :

ـ لماذا تفشي هذه المسائل ايها الابله ••؟

وبدا الوجل على العملاق قليلا ثم تمالك نفسه وقال :

ـ لا تخف ، فالموتى لا يتكلمون •

ـ اني اسلم بذلك ، ولكني لا اريد ان تقر امامهم بجريمة
اقترفتها ••

فاجابه بازويك صاخبا :

ـ جريمة •• الم يكن ذلك بارشادك •• وبسبب خطتك ••؟

ـ صه ايها الابله •• لقد لعبت الخمر براسك • لقد ازفت
ساعة التندم ••

فقال له ترانت متهكما :

ـ وايكما يقوم على حراستنا ، لن تتركانا بمفردنا بأي حال
من الاحوال ••

فقال بازويك : لا نبال به ، انه يكيدك ، فهو يعلم اننـا
مرهقان وفي حاجة ملحة الى النوم والراحة ، ولكنه يثير هذه
الوساوس في نفسك كي تظل ساهرا بجوارهما • دعهما ولا
تبال فلن يتمكنا من التحرك قيد انملة ••

فصاح ترانت قائلا :

ـ لا تصدقه يا لانروست .. الا ترى ان صاحب هذه الدار
قد وضع قضبانا حديدية متينة فى النافذة الوحيدة فى
هذه الحجرة .. الا تسأل نفسك لماذا ، انه يخشى ان يقتحم
احد المكتبة ويسطو على ما فيها من اسفار نفيسة .
فأجابه لانروست :
ـ ساء تدبيرك .. سنترككما وشأنكما ، وسنجدكما فى
الصباح على ما انتما عليه .
ـ ولماذا تعذبنى هكذا يالانروست .. الا تطلق سراحى
واعدك بمال وفير ..؟
ـ لست بحاجة لاموالك ياترانت .. فلدى ثروتى الوفيرة .
فقال ترانت :
ـ وانت ايها اللوتى .. ؟ كيف تلذ لك الحياة ومعك مائة
الف دولار ؟
فتوقف بازويك عن السير وقال :
ـ مائة الف دولار .. اعدك بأن انفقها جميعا .
فصاح به لانروست وقد تلمس اهتمامه للحديث :
ـ دع عنك هذه البلاهة ايها الاحمق .. لن تنال من ترانت
دولارا واحدا .. انه اخبث شقى على وجه البسيطة ، واذا
نالك منه شىء فانما حبل الجلاد يلتف حول عنقك .
ـ لماذا .. اننى لم اقتله .. وليس بينى وبينه ..
فقاطعه لانروست وهو يهدر قائلا :
ـ ولكنك اعترفت امامه ايها الشقى انك قتلت شبيه بول
زانويسكى .. ولا تنس اننا فى انجلترا حيث لا يتركون القتلة
احرارا ..
ـ ولكن مائة الف دولار ليست بالمبلغ الذى لا يطرب له
انسان ويحاول ان يجرب حظه ..
ـ صه ايها الاحمق .. ان كان لك ان تنال ثروة فانما

.. ويقدر ما اشاء .. هيا بنا فقد باتت الساعة متأخرة ..
ـ هيا بنا . هيا بنا . وهل سنترك لهما الانوار ..؟
فقال له لانروست متهكما :
ـ وهل كنا ننام فى السجن فى الانوار ، دعهما فى الظلام
بحالك فليس اشد منه وطأة على الاعصاب . فضلا عن ان الظلام
يحجب مشاهدة المرئيات ويحول دون التفكير فى الفرار . هيا
والق نظرة على قيودهما قبل ان ننصرف .
فأجاب البحار معترضا :
ـ انني واثق من القيود ثقتي من نفسى ، لا تجعل الشك
يتسرب الى نفسك من عقدة يعقدها بحار ماهر .
ـ ينبغى اكثر حذرا من ذلك يا عزيزى . لا بأس من ان
تلقى عليهما نظرة اخيرة لتطمئن . وخاصة قيود القرد الكهل
ترانت لأن جعبة العابه وحيله لا ينضب معينها مطلقا كالحاوى
الماهر .
وتقدم منهما بازويك وانحنى امام كل بدوره يفحص القيود
فى شدة وعنف كانت تزيد من ضغط الحبال على الجسم .
ثم نهض واقفا وهو يقول فى لهجة يبدو عليها الاطمئنان
ـ ان هذه القيود تكفى لقيدهما عاما كاملا . فضلا عن انها
تغوص فى لحمهما فلا يكادان يحتملان حركة يسيرة ..
وفيما كان لانروست يطفىء الانوار ويدير المفتاح فى باب
الحجرة سمع صوتا يقول له فى تهكم :
ـ نم مطمئنا يا مستر لانروست ..
فأجاب هذا وهو يتكلف الضحك :
ـ لا تتكلف الشجاعة يا ترانت .. ان يأسك باد تماما فلا
تحاول ان تخدعنا .. اما انا فسأنام طليقا من اى قيد .
ولدى طعام شهى ينتظرنى فى الصباح سألتهمه امام عينيك
التهاما .

وسادت الظلمة يصحبها السكون بعض الوقت ثم بدأ ترانت يتحرك فى قيوده وهو يألم لشدتها .. وظل ملتزما الصمت حتى خفتت الحركة فى المنزل تماما .. وتلاشى وقع اقدام الشقيين فى الدهليز ثم بدأ الحديث قائلا لصديقه :

ـ كيف حالك يا لنفورد ..؟

فاجابه هذا فى صوت خافت كأنه ينبعث من جب عميق :

ـ ليست متناهية السوء والرداءة ..

ـ وهل تشعر بألم شديد من قيودك ؟

ـ ولكن بمقدورى ان احتمله ..

وكان ردا شديد الوقع على نفس ترانت كاد ان يعصف بقلبه الذى اخذ يتارجح بين الاعجاب الشديد بصديقه الشاب وقوة تحمله .. وبين الرثاء لحاله من فرط ما ناله من قسوة وتعسف .

ـ كم كان بودى يا لنفورد ان ازودك ببعض النصائح فى الوقت المناسب .. فلقد ربطت الى كثير من المقاعد من قبل والمت بكافة الحيل المتبعة فى ذلك .. ولكن الوقت لم يتسع لتنبيهك الى شىء من ذلك .. لان لاتروست باغتنا حقا بمهارة فائقة .. والحيلة المتبعة فى مثل هذه الحالات هى ان تمدد عضلات جسمك وخاصة الاطراف بحيث تنتفخ كثيرا وتشغل اكثر من حجمها المعتاد .. وتدع خصمك يدير وثاقك هكذا ويلف حباله حول عضلاتك وهى ممددة منتفخة .. وبذلك يأخذ الرباط اقصى حد من الشد والتوتر ، فاذا ما خلا المكان بعد ذلك وحاولت الفكاك من قيودك فما عليك سوى ان ترخى عضلاتك فتتراخى القيود بعض الشىء بالمثل ويحدث بينها فراغ يمكنك من ان تحرك اطرافك كما تشاء ان لم يكف لافلاتك من الرباط .. وهذا ما امكننى ان افعله الليلة .. ولذا فانى من جهة لا اشعر بمثل ضغط الحبال الذى تشعر به ومن جهة

اخرى يمكننى ان احرك اطرافى حركة يسيرة .. ولكن لاتبالغ فى التفاؤل فهى ليست بالحركة التى تمكننا من الفرار والنجاة من قبضة هذا المعتوه لاتروست وزميله السفاك .

وسمع صديقه يقول له فى لهجة يغشاها شىء من الاضطراب :

ـ وهل تظنهما جادين فى تهديدهما ..؟

ـ من المحتمل جدا .. فالشماتة والحقد باديان فى اقوال النوتى السفاك وفعاله .. اما لاتروست فلست اشك لحظة واحدة فى انه مصاب بخبل فى عقله وان خبله هذا هو الذى يوحى اليه بالناحية الاجرامية من تفكيره وافعاله .. ومن كانت حاله كذلك فلا يستبعد عنه الاقدام على اى شىء اخر .

ـ لقد بدا عليه الهياج عندما ادرك المحاولة التى قمت بها لرشو بازويك .. وهلا تظن انه كان الافضل ان تجرب هذه الطريقة فى غيبة لاتروست ؟

ـ لقد سعيت الى ما ذهبت اليه عن قصد وعمد ، رغم اننى اعرف يقينا من بادىء الامر ان المحاولة غير مجدية ..

فسأله لنفورد دهشا :

ـ غير مجدية ؟ ولماذا لجأت اليها اذن ؟

ـ لغرض اخر خفى عليك لوقته . لقد كانت نية لاتروست ان يدع بازويك ينام فوق اريكة فى الدهليز ليسهر على حراستنا طول الليل ، ولذا قمت بهذه المحاولة كى اشعر لاتروست بالخطر الداهم الذى يهدده اذا ما ترك النوتى معنا او على مقربة منا ، ويضطر والحالة هذه الى اصطحابه معه الى مخادع النوم الاخرى ونبقى بلا حراسة ويخلو لنا الجو قليلا ..

وسمع لنفورد وسط الظلام الدامس صوتا خافتا اشبه شىء بالسعال المختنق او التنهد المكتوم الذى يبدر من الانسان متى كان مجهدا فى عمل شاق يحتاج لتركيز قواه وجهوده كلها ..

اجعل لنفورد مما سمع وظن لأول وهلة ان لانروست قد اقبل
يتجسس امرهما ويسترق عليهما السمع ، او ليحاول ان يفتك
بهما في الظلام . فقال في صوت متهدج :
— ما هذا .. ما هذا .. اسمعت هذا الصوت يا ترانت ؟
— اجل ، سمعته .. ما بال اعصابك متوترة هكذا يا لنفورد
وقلبك يقفز من مكانه لأقل صوت .. اظنني اضيع الوقت
عبثا في حديث ماجن معك .. لقد كنت اوفر حظا منك في
اختيار المقعد .. ان قدمي تبلغان الارض ، اما انت فقدماك
مقيدتان على عارضة المقعد السفلى ..
— واى فائدة في ذلك ؟.
— ربما كان بازويك خبيرا في عمل العقد ككل بحار ماهر ،
ولكن التخلص منها لا يقل فنا عن ربطها .. ان قدمي تبلغان
الارض ويمكنني ان اعتمد عليهما واسير قليلا محتملا مقعدي ،
او في خطوات قصيرة وبطيئة .. ولكن ربما وصلت في الوقت
المناسب . فالشمس تشرق حوالي الساعة السابعه ، وربما
تأخرا قليلا في الاستيقاظ خاصة وان بازويك قد تجرع ثلاثة
ارباع الزجاجه بمفرده .
فقال له لنفورد :
— ماذا تعني بقولك هذا .. ماذا تريد ان تفعل ؟.
— سأسير بمقعدي حتى السلم الحديدي او احاول ان اتسلقه
الى الشرفة الحديدية وعندما ابلغها اتجه الى ما فوق الباب
مباشرة حتى ابلغه ، وعندما يأتي الشقيان ويدخل بازويك دعه
حتى يمر من الباب ثم صح به « ارفع يديك » وسيدهش
للمفاجأة ويقف فجأة ولو للحظة قصيرة ، وفي هذه الحالة
سالقي بنفسي عليه من الشرفة وارجو ان احطم عنقه ..
— واذا اخطأت ..؟
— لن اخطئه ، وحتى اذا حدث هذا فسأثير غضبه وجنونه

ويبادر بقتلي وبذلك اتخلص نهائيا من هذا العذاب .. ان
القيود تكاد تصل الى عظامي ..
— وانني بالمثل اعاني نفس الشدة .. واكاد افقد صوابي
.. ولكن لنفرض ان لانروست دخل اولا ..
— سالقي بنفسي ومقعدي على اول من يدخل منهما فان قتل
بازويك فلن يحاول لانروست الجبان ان يفعل بنا شيئا
وسيبادر الى الفرار . اما اذا قتلنا لانروست فمن السهل
التفاهم مع بازويك .
— لا بد ان تحسن القفز اذن ..
— هذا متوقف عليك يا لنفورد ، لان اهم نقطة في هذه الخطة
هي ان تستوقف الداخل في مكان معين ، اى تحتي مباشرة
بحيث يمكنني ان اسقط فوقه ، وساجتهد من جانبي ان اسقط
بحيث اصدم رأسه بقاعدة المقعد .
— وهل من السهل تسلق السلم الحديدى وبلوغ الشرفة
العليا ؟
— سأحاول .. ما امكنني ذلك ، فهي الوسيلة الوحيدة
الباقية للنجاة . والآن هل يمكنني ان انام ساعة .. ام تنام
انت اولا ؟
فقال لنفورد متذمرا :
— كلا ... ان آلام الرباط تفقدني اى طعم للراحة او النوم .
نم يا ترانت وسأوقظك عندما اشاهد تباشير الفجر من النافذة
وبدأت الساعات تمر متثاقلة كأنها سنوات ، وكان اشد
ما يخشاه لنفورد ان يقبل احد الشقيين قبل الموعد المحدد
فتنقلب الخطة رأسا على عقب . وظل السكون سائدا طوال
الليل وعندما اقترب الفجر هبت ريح خفيفة اخذت تعبث بعض
الشيء بفروع الاشجار واوراقها وتحدث اصواتا اشبه شيء

يوقع اقدام عن بعد ، الشيء الذى كان يقفز له قلب لنفورد فزعا ورعبا .

وما ان سطعت فى الحجرة اول بادرة من تباشير الفجر حتى صاح لنفورد قائلا :

- ترانت .. لقد ازف الوقت .

وانتبه هذا من النداء الاول ، وبعد ان حاول ان يتمطى فى قيوده ، نهض حاملا كرسيه واخذ يتحرك فى بطء شديد بقدر ما تحمله قدماه المقيدتان واخذ يتقدم شيئا فشيئا حتى بلغ جانب الحائط وتناول اقرب كتاب صادفه بيمناه ، ثم انصرف نحو الباب فى خطواته البطيئة وهناك القى بالكتاب الى الارض وهو يقول :

- يجب ان يتوقف الداخل منهما عند هذا الكتاب تماما ، وسأكون فوقه بالضبط . ولربما لفت الكتاب انظار اولهما خاصة اذا تذكر انه لم يكن هنا بالامس وسواء انحنى ليلتقط الكتاب ام وقف يتأمل كان فى ذلك الكفاية . واذا لم يفعل هذا او ذاك صح به قائلا : « ارفع يديك » فستجعله هذه المفاجأة يتوقف قليلا .

وتقدم ترانت بعد ذلك الى السلم الحديدى واخذ يجالد ويجاهد محاولا اعتلاء درجاته الواحدة بعد الاخرى .. وكلما رفع قدما ليبلغ بها الدرجة التى تليها حالت القيود دون بلوغها اليها ، وهكذا ظل يعانى الشدة والنصب حتى بلغ نهاية الدرجات . وكانت الاخيرة اصعبها منالا . اذ كانت تعلوها سجادة سميكة زادت من ارتفاعها ، وكلما رفع ترانت قدمه وحاول بلوغها تعذرت عليه واستحالت . وكانما خشى ان يضيع فى هذه المحاولة الدقائق الباقية من هذه اللحظات الثمينة ، فرفع قدمه بشدة جعلته يميل بعض الشيء . وكان الميل شديدا فقد معه توازنه . وابصر به لنفورد يحاول ان

يسترد توازنه ولكن انى له ذلك وهو موثق اليدين والساقين بل وجميع الجسم ... وهوى من مكانه الى الارض .

واحدث الاصطدام صوتا منكرا قفز له قلب لنفورد ، وكان اشد ذعره هو لمصير صديقه فصاح يقول فى فزع :

- ترانت ... ترانت ...

ولم يسمع جوابا لسؤاله ، فاخذ يعيده المرة بعد المرة .. والكرة بعد الكرة ..

- ترانت .. هل اصبت بشيء ؟..

واخيرا سمع صوتا خافتا يجيبه :

- لست ادرى بعد .

واطمأن لنفورد قليلا ، وزاد من اطمئنانه ان رأى صديقه يتحرك قليلا ويتخلص شيئا فشيئا من وثاقه وهو يقول :

- لقد حطمت هذه السقطة المقعد وحررتنى من هذه القيود والحمد لله .

- يا للمعجزة ... ظننتك لقيت حتفك من جراء هذه السقطة ..

- اننى اشعر فعلا برضوض شديدة فى ظهرى ولكن هذا لن يمنعنى من ان اوفى بازويك حقه ..

فصاح لنفورد قائلا :

- لقد وعدتنى به ..

- اجل .. ولكن الا تظنه خطرا عليك ، خاصة بعد ان امضى ليلته راقدا ملء جفونه ..

- كلا ... لا تخش شيئا ساعلمه درسا فى المصارعه لا ينساه ..

- هيا بنا اذن نعد لهما المسرح .

***

جاوز الوقت العاشرة قبل ان يسمع الاسيران وقع اقدام

خصميهما خارج المكتبة وكان لانروست يسير في المقدمة حاملا مسدس بازويك الضخم وبازويك يتبعه حاملا صحفة تتصاعد منها ابخرة الطعام الفاخر .

وكان لانروست يرتدى الثوب اليابانى الاسود الذى كان يستعمله على الباخرة ، وكان وجهه مشربا بالحمرة وقد اتم حلق ذقنه وبدا فى حالة من السرورروالانتعاش تلفت الانظار .

اما بازويك فلم يعن بالحلاقة ، وان كان يبدو قانعا بالنوم الطويل العميق الذى تمتع به الا انه لم يكن فى انتعاش سيده ونشاطه ..

ووضع لانروست المسدس على المنضدة الى جانب الصحفة التى تحمل طعام الفطور ثم بدأ يقول موجها الحديث لاسيريه :

- صباح سعيد ايها السيدان ، لعله يسركما ان تعلما اننى نمت ملء جفونى عشر ساعات متوالية واستعدت نشاطى وقوتى واصبحت على استعداد لان امضى معكما يوما سارا ..

ثم تقدم من ترانت حتى وقف امامه ثم صفعه بظاهر يده على فمه وهو يقول له :

- تحية الصباح يا انتونى ترانت ..

واحمر وجه ترانت وقال وهو يحاول ان يكظم غيظه ما امكن:

- شكرا .. عمل جديد يضاف الى قائمة الحساب .

وقال بازويك وكان قد جلس الى المائدة وشرع يصب الشاى فى قدحه :

- هيا يا استاذى قبل ان يبرد الطعام ..

وجلس لانروست الى جانبه وهو يقول له :

- ساشعر بلذة اكثر لهذا الطعام الشهى لو قمت يابازويك والقيت نظرة مطمئنة على القيود قبل ان نشرع فى الطعام .

فصاح بازويك متذمرا وهو يحاول ان يطبق بيديه على قطع

الشواء المكومة امامه : يا للجحيم ... قلت لك اننى اذا قيدت انسانا يظل مقيدا ما شئت .. ومع ذلك ساطمئنك ..

ونهض متثاقلا وتقدم الى ترانت - الامر الذى ساء لنفورد كثيرا - ثم انحنى بجانب مقعده ومد يده يفحص عقدة الرباط.

واندفعت يمين ترانت فى سرعة البرق الخاطف بلكمة قوية نالت البحار العملاق فى اسفل ذقنه ، وبلغ من عنفها وشدة تمكنها ان رفعته من مكانه والقته الى الخلف ، بينما قفز ترانت الى المائدة واختطف المسدس الموضوع عليها ، وتم ذلك فى سرعه فوجىء بها لانروست فظل جالسا فى مكانه لا يدرى ما يفعل .

وتبع ذلك امر لا يقل غرابة ، فما ان رد بازويك الى ما حوله وجمع قواه وهب واقفا ليبدأ النضال حتى كان لنفورد قد القى بقيوده وقفز واقفا يواجهه .

وصاح ترانت بلانروست قائلا :

- الزم مكانك ايها المعتوه والا اطرت غطاء جمجمتك المملوءة بالبلاهه ، وحاذر ايضا ان تمد يدك الى فطورى .

ولم يكن ترانت ليخشى بأسا من الرجل النحيل الجالس امامه ، فان رؤية المسدس فى يده قد افقدت لانروست شجاعته واطارت قواه .. واسرع ترانت فاتخذ مكانه خلف لانروست ليهدده من جهه ويشرف على الملحمة الاخرى فى الوقت نفسه بحيث يمكنه ان يتداخل ويخف لنجدة صديقه اذا لزم الامر .

ولم يحاول بازويك ان يلتفت الى ترانت او لانروست ، وكانت شهوة القتل قد تلبسته فما كان ليعبأ بشىء اخر ..

واندفع كالوحش الضارى نحو لنفورد . وخف هذا لملاقاته وما ان اقترب منه حتى قفز نحوه وركله بقدميه فى صدره فى وقت واحد . ولقد افلحت تلك الحركة الجريئة التى لاترى

الا على حلقات المصارعة الحرة ومن مصارعين بالغى درجة الكمال من الدبة والمران ..

وسقط الرجلان على الارض وقبل ان يحاول بازويك النهوض كان لنفورد يهوى عليه بقبضيه ثانية . وتكرر ذلك اربع مرات حتى صاح لانروست فى فزع :

– انها جريمة قتل .. لقد قتل بازويك .

فقال له ترانت فى هدوء :

– وماذا لو قتله ؟ ان الموت فى هذه اللحظة لافضل مما سيلاقيه لو بقى حيا .

وشرع لنفورد يجر بازويك وهو فاقد وعيه ثم رفعه الى احد المقاعد المتينة وشد وثاقه باحكام ، وقال له ترانت :

– احسنت يا عزيزى لنفورد ، ما كنت اظنك تجيد هذا النوع من المصارعة والان هيا واربط هذا القط المعتوه ايضا لنجلس مطمئنين ونتناول الفطور الساخن .

واخذ لانروست يناضل ويقاوم ويحاول ان يعمل اسنانه فى يد لنفورد ويصيح قائلا وهو يبكى :

– ستعاقب على هذا العمل .. ستزج فى السجن .

– حقا ستزج فى السجن .

فقال ترانت :

– كلا .. لن ادعهما الى السجن لانهما قد تعوداه ! ساعد لهما تجربة اخرى هى تجربة الموت جوعا التى كانا يهددانا بها .. ولن اتوقع ان تطول مقاومتك يا لانروست ولكن لا بأس فقليل من العذاب افضل من لا شىء .

فصرخ لانروست قائلا :

– لن تجرؤ على شىء من ذلك .

وكان بازويك قد استرد وعيه فقال يوجه الخطاب لصاحبه :

– انت الذى زججت بى فى هذه الورطة ، وان لم تخرجنى

منها فسأحطم عنقك تحطيما ، اتظن أنه يتردد فى ان يميتنا جوعا .

وقال ترانت لمساعده :

– هيا يا لنفورد اذهب واغتسل ريثما اتناول طعامى . وعندما تعود اذهب بدورى وفيما كان ترانت يرتشف الشاى قال له لانروست :

– ارجح انك ستسلمنى للبوليس ليعود الى امريكا حيث يعيدون استجوابى فى الجريمتين القديمتين ..؟

فاجابه ترانت :

– لست ارى فائدة تذكر من اعادتك الى امريكا لقد قلت لى ان جدك ولد هنا فى مقاطعة (مدلسكس) فماذا لو شنق حفيده فى مقاطعة (سافولك) بدلا من نيويورك ؟

وقال بازويك يطمئن نفسه :

– ما من تهمة لديكم يمكن ان تلصقوها بى ...

فقال له ترانت مصححا :

– واحدة فقط .. قتل بول زانويسكى .. وقد حدثت الجريمة على ظهر سفينة انجليزية ولذا فليس ما يمتنع من شنقك هنا فى انجلترا . والشنق على كل حال ليس اصعب من الكرسى الكهربائى رغم انه يستغرق بضع ثوان اكثر . حقا لقد اجدتما طهى هذا الطعام .. اتشعران بجوع .. ؟ ماذا بك يا لانروست ؟ انك تفكر فى البوليس الانجليزى ورجال سكتلنديارد .. ولكن لا تشغل نفسك بهذه الخيالات فهنالك ما هو افظع واكثر فزعا ورعبا . لقد فاتك ان تعرفه يا لانروست . ولكنى خبرته بنفسى ليلة الامس . ان هذا المنزل القديم مملوء بالجرذان ، وارجح انها ترد من المستنقعات المجاورة . لقد زارنا ستة منها ليلة الامس ، ولكنها لم تبق معنا طويلا وعادت ادراجها مسرعة ، ولا شك انها فعلت ذلك

تحبر باقي القطيع فيزورنا بأكمله هذه الليلة ، ولكنه لن يجد أصدقاء الامس بل ....

فصاح لانروست مقاطعا :

– اتوسل اليك ان تسكت ، لا قبل لي بسماع هذا الحديث، انني اكاد اقضي فرقا ..

– سيان لدى اقضيت فرقا ام غرقا ولكن لا بد من ان اسمعك بقيه هذا الحديث ابهام . فالصينيون يعولون على الجرذان ويعلقون عليها اهمية كبرى في مختلف المسائل في التعذيب والتنكيل ، والتهديد .. وانتزاع الاعترافات من الصدور المغلقة .. ولقد اخترعوا لذلك وسائل مختلفة واساليب مبتكرة، فهناك مثلا شبه قفص من الاسلاك الحديدية الصلبة يوضع فوق جسم الفريسة بعد ان يشد وثاقها وتمدد على الارض . فلو اردنا تجربة هذه الطريقة الصينية فيك يا مستر لانروست طرحناك ارضا ثم غطيناك بهذا القفص الحديدي .. وهذا القفص مقسم الى عدة اقسام بحواجز راسية من السلك ايضا ، بحيث تقع قدميك في القسم الاول من القفص وساقاك في القسم الثاني وتقع الفخذان في الثالث وهكذا ..

ثم يؤتى ببعض الجرذان وتترك اياما حتى يشتد بها الجوع ويرهقها تماما ثم توضع في القسم الاول من القفص فتنقض على قدميك نهشا حتى لا يبقى منهما سوى العظام .

وصرخ لانروست فزعا :

– هذه وحشية ... وحشية ... اتوسل اليك يا مستر ترانت ان تكف عن هذا الوصف ... ان بدني ليرتعد فرقا ... وانه لمن الوحشية ان ترهق اعصابي بهذه الاقاصيص وانت اعلم الناس بحالتي العصبية وما اعانيه من امراض لا تحتمل كل هذا العبث العنيف ..

واخذ ترانت يقهقه ضاحكا بينما قال له لنفورد :

ليلة امس ؟ وهل يهمنا في كثير او قليل ان تعاني اعصابه ما تعاني ؟

فقال ترانت مستأنفا :

– يا لك من مخبول ، وهلا فكرت في الاعصاب وارهاقها

– ترفق به يا لنفورد ، ان مستر لانروست رقيق الاعصاب يتأثر لأتفه الاشياء واغلب ظني ان الصينيين قد توقعوا هذا الضعف في اعصابك يا مستر لانروست ، اتعرف ماذا يسمون القسم الاول من القفص الحديدي ؟ يسمونه « حديقة الاحلام» لان الفريسة تعاني من آلام الجرذان وقضمها ما يجعلها تحلق في عالم الاحلام . فاذا ما اتت الجرذان على القدمين رفع الحاجز وتركت تتساق الى القسم الثاني وهو الساقان .. ويسمون القسم الثاني « وادي السرور » لان الفريسة تعاني الالام في هذا القسم ما ينسيها شدة الاوجاع وتغلب عليها عاصفة من الضحك العصبي .

ولكن لا تفزع يا مستر لانروست اذ ليس لدينا من الوقت ما يسمح باعداد القفص الحديدي ليحتوي جسمك الرقيق او جسم زميلك البليد .. ولذا سنكتفي بطرحكما ارضا ونطلي وجهيكما واقدامكما وبعض اجزاء جسميكما الاخرى بالزبد والشحم ثم نتركها طعاما شهيا لجرذان المستنقع المجاور فتأكل اينما شاءت وكيفما ارادت ..

وكان لانروست يستمع في ذهول وهو يكاد يغيب عن الصواب من لحظة لاخرى . وعندما توقف ترانت عن متابعة حديثه اشفاقا عليه .. قال هذا في لهجة التضرع والتوسل :

– ترانت ، لقد فزت علي وغلبتني على أمري .. واني أعترف بهزيمتي .. فلست سوى مبتدىء في هذا المضمار الذي انت بطله .. الا تخبرني كيف تخلصت من قيودك التي يدعي هذا البحار الغبي انها لن تفك ولو بقيت عاما كاملا ؟.

فاجابه ترانت :

– لو اجبتك عن هذا السؤال لكنت ابزك غباوة وافوقك بلاهة .

واقبل لنفورد في هذه اللحظة فجلس الى المائدة وهو يقول :

– ما زال بالحمام ماء ساخن يكفي لاغتسالك يا ترانت .

فاجابه صديقه :

– حسنا . تسلم المسدس ريثما اعود ، واذا حاول لانروست ان يتحرك فاثقب رأسه برصاصة ، ولا تخش شيئا لان رأسه اجوف .

فقال النوتي السفاك في دهاء :

– ولكن لن تظفرا منه بشيء ما لم ابدل موقفي وانقلب شاهد اثبات .

واجابه ترانت :

– لسنا في حاجة الى شهادتك لانكما لن تشنقا بل ستموتان جوعا .

وبعد ان انصرف ترانت قال لانروست يوجه الحديث الى لنفورد :

– ارجو ان لا يكون ترانت مجدا في قوله هذا . انني افضل ان اقتل بالرصاص على ان اموت قرضا باسنان الجرذان .

فاجابه في هدوء وهو يلتهم الطعام :

– لا داعي للتفضيل لانك لم تمنحنا حق الخيار .

فقال له لانروست في حدة :

– اليس لديك من الذكاء ما يجعلك تفهم انني كنت اريد القاء الرعب في قلبيكما لا غير ، واننا كنا ننوي اطلاق سراحكما اليوم .

فاجابه لنفورد :

– انني جد آسف ، اذ ليس لدى مثل هذا الذكاء . واخشى ان يكون ترانت مفتقرا الى الذكاء مثلي ؟ .

فهدر بازويك قائلا :

– لا تصدقه . لاتصدقه . لقدكان ينوى قتلكما بان يتركما تموتان جوعا .

فصاح به لانروست : اصمت ايها الغبي !

وعاد ترانت بعد قليل ومعه زجاجة شراب فاخرة عثر بها في امتعه لانروست .

وجلس وصديقه يرتشفان ما فيها ويثيران شهية الشقيين حتى سال لعابهما وبدآ يشعران بالجوع يعضهما بنابه .

ونهض ترانت وهو يقول لصاحبه :

– هيا بنا الان ولكن ضع كماما على فم كل منهما قبل ان نرحل .

فصاح لانروست ثانية يقول في صوت مضطرب : وهل تتركاننا بمفردنا ؟

– اجل ولن نعود اليكما قبل الغروب . ماذا تخشى . ؟ اتخشى ان يحل بازويك وثاقه وينقض عليك فيخمد انفاسك .

وبعد ان اغلق الباب سمع لانروست وقع اقدامهما تبتعد ثم صوت محرك السيارة يعلو ويتضاءل بعد ذلك شيئا فشيئا حتى يختفي .

وامضى لانروست الوقت باكمله مضطربا لا يهدأ له قرار . وكان اعظم ما يخشاه أن يتحقق وعيد ترانت فيتمكن النوتي السفاك من حل قيوده ويتغلب على صديقه فيخمد انفاسه . وعلى الرغم من ان بازويك اخلد الى النوم بعض الوقت الا ان لانروست ظل مستيقظا على احر من الجمر وقلبه يقفز من مكانه لكل حركة تافهة .

وقبيل الغروب فتح باب الحجرة ودخل لنفورد وقد فارقته

آثار التعب والاعياء · وبادر فرفع الكمامتين عن فمى الشقيين وهو يقول لبازويك :

– اما زلت مصمما على انه هو الذى دفع بك الى هذه الورطة ؟

فصاح هذا يقول وقد لاحت له فرصة النجاة :

– بكل تأكيد · فهو الذى دبر مقتل زانويسكي وحرضني عليه ، ولقد وطدت العزم على ان ادلى بالحقيقة للبوليس واقلب شاهدا ·

ودخل فى تلك اللحظة ترانت يصحبه بعض رجال البوليس السرى والعلنى ·· وكانوا كامنين خلف الباب يستمعون لعبارة النوتى ·

وصاح لانروست وقد اسقط فى يده :

– صه ايها الاحمق والا ··

فقال له احد رجال البوليس مقاطعا :

– اوستين لانروست · نقبض عليك بتهمة مقتل بول زانويسكي ، ونحذرك بأن كل ما تقوله ستحاسب عليه وقد يستخدم فى اتهامك · وانت يا بازويك ··

– انني اعترف من الان بانه المدبر للجريمة ·

فقال لانروست معترضا :

– ليس لديكم جميعا دليل واحد يثبت هذه التهمة ·

فتقدم منه ترانت وقال له وهو يربت على كتفه :

– وهل نسيت الثياب النسائية التى كنت ترتديها على سطح الباخرة عندما كنت تتبع زانويسكي ظنا منك انه اياى ولترشد بازويك اليه عندما يكون المكان خاليا فينقض عليه ويرمى به الى البحر ، ان هذه الملابس التى ورد ذكرها فى محاضر التحقيق وشهد بوجودها ضابط الباخرة ما زالت فى حوزتك يا لانروست ولقد ابصرت بها فى صندوقك قبل ان

ارحل لاستدعاء البوليس · ولا تنس انك انت الذى لفت نظرى الى هذا الدليل يا عزيزى ··

وسار لانروست بين اثنين من رجال البوليس وكذا زميله النوتى بازويك بعد ان صفدت ايديهما بالقيود الحديدية · وما ان ابتعد الموكب بضع خطوات عن المنزل حتى توقف ترانت فجاة ثم التفت الى لنفورد وقال له :

– لقد خطرت لى الان فكرة غريبة يا لنفورد ·· يا الهى ·· انها تملأ راسى حتى تكاد تكون يقينا ··

فسأله لنفورد على الفور :

– وما هى ··؟

فاجابه ترانت فى هدوء وهو يتأمله جيدا ليرى الاثر الذى سيرتسم على وجهه عندما يسمع ما سيقوله :

– ماذا لو كانت قصة لانروست حقيقية ··

ولحق بهما اذ ذاك المفتش جونس صديق ترانت والذى جاء من سكتلنديارد خصيصا للقبض على لانروست فسأله :

– ماذا دهاك يا ترانت ؟

– لقد خطر لى خاطر جديد يا عزيزى جونس ، ولقد هبط على مرة واحدة دون تفكير سابق ، وكنت احدث به لنفورد الان ، ماذا لو ان القصة التى رواها لنا لانروست حقيقية ؟ لقد كتب الينا من باريس انه تعرف على اثنين من مهربى المخدرات وانه يريد ان يثأر منهما ويستدرجهما الى هذه البلاد ليوقعهما فى الشرك ويسلمهما للبوليس ؛ ولقد صدقنا هذه القصة فصحبناه الى هذه الدار ووقعنا نحن فى الشرك ؛ وكان اول ما خطر ببالى بعد ان تبينت المكيدة الدنيئة ان هذه القصة خيالية ابتكرها لانروست ليغرر بنا ويقودنا الى حتفنا ، ولكن خطر لى الان ما يناقض هذا الزعم الاول ماذا لو كان لانروست قد اتفق فعلا مع بعض المهربين على ادخال كمية من المخدرات

الى هذه البلاد بطريقة غير مشروعة . لقد كان لانروست واثقا من انه قد قضى علينا فلم يكن بيننا وبين الموت سوى ساعات، او قل فى اى لحظة يشاء لانروست ، ولذا فما كان ليقيم بعد ذلك اى وزن لوجودنا فى لندن ، واذا ما نجح فى ازالتنا من طريقه لم يبق لديه ما يخشاه ، ولم يبق فى انجلترا بأسرها من يعرف سر لانروست وشغفه بالمخدرات .

فقال المفتش جونس :

ـ اتعنى انه اتفق فعلا مع المهربين وانه ينتظرهم فى هذا المنزل النائى ، وانه بادر باستدراجكما ليتخلص منكما ويخلو له الجو ؟

ـ اجل ...

ـ ولكن اما من دليل .. او قرينة .. تؤيد هذا الظن ..

فقال ترانت :

ـ قلت لك انه لم يعد ظنا بل يقينا اذا شئت .

فسأله لنفورد :

ـ ولكن ما الذى مهد لوجود هذه الفكرة لديك ..؟

فاجابه ترانت :

ـ كلمة واحدة تفوه بها لانروست عفوا ، لقد هددنا بأن يغرقنا فى البحر وان يربط الى عنق كل منا حجرا ضخما بحيث يهبط به الى قرار البحر ولا يدعه يطفو ثانية .

ـ اجل اذكر ذلك ..

ـ ان الشاطىء هنا صخرى يا عزيزى والبحر شديد الهياج عنيف الحركة . ولا يمكن ان ينفذ لانروست وعيده هذا الا اذا استعان بزورق بخارى كبير الحجم كالذى يستعمله المهربون فى اجتياز المانش .. ففكرة وجود هذا الزورق وحت الى بالاحتمال ، وعندما رأيته يؤجل اغراقنا بلا سبب مباشر ،

ايقنت انه ينتظر وصول هذا الزورق ، او بالاحرى ينتظر وصول المهربين .

ولكن لانروست كان من الذكاء الى درجة بعيدة فحاول بما أمكنه أن يخفى عنى هذه الحقيقة ـ حقيقة اتجاره بالمخدرات ـ والتى يغلب على ظنى انه اودع فيها كل ثروته ، فجعل يوهمنا انه يرجىء موتنا لكى يتلذذ بما نعانيه من العذاب . ثم راح بعد ذلك يهددنا بالموت جوعا . وقد افلح الشقى فى ابعاد الفكرة عن مخيلتى بعض الوقت ، ولكنى ذكرتها ثانية لسوء حظه الان وبشكل أقوى من الاول .

فقال المفتش جونس : لقد عودتنى دائما ان يصدق شعورك الباطن يا ترانت ولكنى اراك فى هذه المرة قد اخطات الحساب

فأجابه ترانت : امامنا تجربة يسيرة يمكن ان نجربها . هيا نفاجىء لانروست بهذا الامر ونرى وقعه فى نفسه . ويمكننا بعد ذلك ان نفكر فى الموضوع على ضوء ما يرتسم على قسمات وجهه من انفعالات .. هيا .

واسرعوا جميعا الخطى حتى بلغوا لانروست وهو يسير بين حارسيه وساروا جميعا فى سكون حتى بلغوا السيارتين اللتين اقبل فيهما رجال البوليس . وهناك توقف المفتش جونس وقال وهو يحدق فى وجه لانروست : استودعكم الان وسأعود ادراجى الى المنزل مع بعض الرجال لننتظر قدوم اصدقاء مستر لانروست .

وحاول هذا ان يتكلم ولكن الكلام احتبس فى فمه فاخذ يزدرد لعابه فى صعوبة ويجالد فى عنف حتى استجمع قواه ، ثم قال: لست أدرى ما تعنى يا سيدى المفتش .

ـ اعنى اننا سننتظر اصدقاءك القادمين من فرنسا بالبضاعة .

ولم يتمكن لانروست من ان يحبس الصرخة الخافتة التى افلتت منه ، واطرق براسه الى الارض وهو يقول : لقد اوشكت ان افقد حياتى فهل يفيدنى بعد ذلك ان افقد ثروتى ايضا ٠٠ ان المصائب لا تأتى فرادى ٠

فقال له ترانت منتهزا فرصة ضعفه :

ـ لعلك تؤدى خدمة جليلة للانسانية فى اخر لحظة يا لانروست ٠٠ ماذا لو سهلت لنا القبض على شركائك من افراد هذه العصابة المشتغلة بالتهريب ٠

ـ وكيف يمكننى ان اسهل لك ذلك ؟

ـ لا يمكنهم بطبيعة الحال ان يتعرفوا موقع القصر من الشاطىء بمفردهم ليلا ، ولا بد انكم قد اتفقتم على اشارات ضوئية معينة فى ساعة معينة كى ترشد من بالزورق الى الشاطىء ٠

فضحك لانروست واخذ يقهقه حتى بدت نواجذه ثم قال وهو يحدق فى ترانت ويرميه بنظرات العداء المقيت والحقد الدفين :

ـ وهل تظننى من الغباء الى حد ان ادع مثل هذه الفرصة تفوتنى دون ان اثار منك ٠٠ سأتركك تتخبط فى جهالتك ٠٠ اجل ٠٠ سيحضر شركائى الليلة فى حجب الظلام ٠٠ فاذهب وقابلهم ان كنت بطلا ولن تعدم رصاصة ولو طائشة تنال منك مقتلا وتريحنى منك الى الابد ٠٠ اذهب وقابلهم فى الظلام ولن ٠٠

فصاح النوتى بازوبك مهددا :

ـ كلا لا تذهب يا مستر ترانت ٠٠ لقد احضر هذا الخبيث معه ثلاثة سهام نارية (صواريخ) تجدها فى الحجرة العليا ٠٠ وسيشعلها ويطلقها على التتابع فى تمام منتصف الليل ٠٠

هكذا قال لى امس ٠٠ لقد انقلبت شاهدا ولا بد ان ادلى بكل ما اعرفه ٠٠

وتلاشت ابتسامة الظفر من وجه لانروست ليحل محلها حزن دائم واكتئاب عميق ٠

ودفع مفتش البوليس بهما الى السيارة وهو يقول :

ـ طب نفسا ولا تحزن يا مستر لانروست سنعد لاصدقائك مقابلة حارة ٠

وانطلقت السيارتان بمن فيهما وتخلف المفتش جونس ومعه ترانت ولنفورد تصحبهم ثلة من رجال البوليس ٠٠ وعادوا ادراجهم الى المنزل حيث امضوا الساعات الاولى من الليل فى هدوء ٠٠ وما ان اوشك على الانتصاف حتى بدا ترانت والمفتش جونس ينفذان الخطة التى وضعاها واحكما حبكها ٠٠ فعهدا الى لنفورد بان يلزم النافذة العليا ومعه الاسهم النارية بينما ربضوا جميعا بالقرب من الشاطىء ٠

وما انتصف الليل حتى اشعل لنفورد اول الاسهم الثلاثة

اقرا رواية العدد القادم

الجرائم الثلاث

بطلها اللص الظريف

ارسين لوبين

فانطلق مرتفعا في الفضاء وسط الليل المدلهم ينير الجدار بأكمله كالبرق الخاطف ، ثم اتبع به السهم الثاني ثم الثالث

وما ان غاب ضوء السهم الاخير في كبد الليل حتى سمع في الافق صوت محرك خافت .. وبعد برهة امكن للكامنين ان يتبينوا شبح زورق كبير يقترب من الشاطىء رويدا رويدا والتصق به تماما .. وللتو قفز منه رجلان وحمل كل منهما حقيبتين كبيرتين واسرعا نحو المنزل .

واجتازا للشاطىء المهد الذي يلي الماء مباشرة وما ان اشرفا على اول الصخور القائمة حتى برز لهم ترانت والمفتش جونس ورجاله واحتاطوا بهما .

وحاول احد الشقيين ان يقاوم .. اما الاخر فالقى بما في يديه واطلق لساقيه العنان عائدا الى الزورق ولكن ترانت لحق به والقى عليه القبض .

وبعد ساعة استقل الجميع السيارات عائدين الى المدينة .. وما ان بلغوا سكتلنديارد حتى ترجل ترانت ولنفورد وسار المفتش جونس بالمراه .. والتفت لنفورد الى ترانت وقال له :

هلم بنا يا لوبين الى مغامرة اخرى .

« تمت »